17 eme Année No. 835 — Lundi — 4 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٨٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رمضان سنة ١٣٦٨ — ٤ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٠ – أمم حـــــائرة

سبل الهدى والطمأنينة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

عرضتُ جوانب من قلق الآراء واضطراب الأعمـال فى مدنيتنا هذه، وذكرت مواطن تسرب إليها القلق وكانت جديرة أن تنجو منـه ؛ وبدت فيها بوادر الخلل وهى خليقة أن تنأى عنه، وذكرت الحكومات والقوانين والصحف والنساء والأسَر

والآن أفصل القول، بعد إجماله، فى السبب الذى تنشأ عنه هذه العلل، والأصل الذى تتفرع منه هذه الأدواء لنعرف الدواء ونلتمس الشفاء :

لابد للنفس مما يقيمها على طريقة، ويسيرها على نهج، ويوجه رغباتها وجهة واحدة، ويجمع نزعاتها على سنة بينة. فكلما همت بأمر رأت أمامها سبيلا واضحـة ولم تشتبه عليها المناهج، ولم تضطرب بها الآراء وتتجاذبها الأهواء. وكلما حزبها أمر لم تتبلد ولم تذهب شعاعاً ؛ بل تعمد إلى عدتها من الآراء القويمة والمذاهب المستقيمة، فتعرف ما تفعل وما تجتنب، وما تأخذ وما تدع .

والذى يقيم النفس على طريقة، ويعرفها منهجها فيما تهم به، وفيما ينزل بها، هو العقائد الراسخة، والقوانين الواضحة، عقائد الدين، وقوانين الأخلاق، وشرائع الأمة كلها. فإذا ثبتت النفسَ العقائد، وقومتها الآداب، ووضحت أمامها القوانين، خضعت أهواؤها للحق، واتفقت نزعاتها على الخير، وسارت فى أعمالها على قوانين تطمئن بها، وتسكن إليها، وتحرص عليها، ولم تشتبه عليها السبل، وتنبهم أمامها الغايات .

وإن لم تئِل النفس إلى عقائد بينـة، وترجع إلى مذاهب معروفة، لم تستطع السير على طريقة، ولا العمل على قانون، واضطربت فى شدتها ورخائها، وحربها وسلمها، وكانت نهباً لنزعات مختلفة، وآراء متشاكسة، وتذبذبت بين دواعى الوقت وخطرات الساعة، واختلف عملها بين الحين والحين، ولم تثبت فى المحن، ولم تصبر فى الشدائد، وكانت عرضة للحيرة كل آن. والحيرة هى تفرق الفكر، بل تقسم النفس، ولا يبلى الإنسان فى حياته بشر من الحيرة، وكثيراً ما أقدمت بالإنسان على المهالك .

إن نزعات الإنسان كثيرة مختلفة، نزعات إلى اللذة وإلى الغلبة والسيطرة وإلى إيذاء من يخالفه، وحسد من يفضُله، والبغى على من يحسده، وإلى جمع المال والحرص عليه. وهو يحب ويبغض، ويسكن وينفر، ويرضى ويغضب، وفى كل هذا نزوات ونزعات .

ومواضع هذه النزعات كثيرة لا تحد، تعرض الانسان كل حين، وفى كل مكان، فهو إن لم يعتصم بالعقائد والمذاهب يمضى على غلوائه إلى أهوائه، ويضطرب فيأخذ الشئ حيناً ويدعه حيناً، وينهج السبيل وقتاً ويحيد عنه وقتاً. شريعته رغبته، وقانونه نزعته. وكيف تكون الرغبات المتغيرة والنزعات المتقلبة شريعة أو قانوناً؟ وهذا فرق ما بين الخير والشرير، والصالح والمفسد.

وإذا حار الإنسان أو سار على هواه، اضطرب فى نفسه، واضطرب فى جماعته، وصادمت أهواؤه أهواء غيره، فصار أمره فى الجماعة نزاعاً وشقاقاً، واختلافاً وافتراقاً.

وهذه النزعات كثيرة كثرة الحسيات المحيطة بالإنسان وهي لا تحد، والجزئيات التى تتعلق بها رغبته وهى لا تحصى؛ فلا بد من عقيدة أو مذهب يرد هذه الكثرة الحسية إلى معنى جامع من معانى الخير أو الشر، فيسير الإنسان على قانون من التحريم والتحليل، والعرف والنكر. فإذا التزم الإنسان العدل والإحسان — مثلا — حسنت له آلاف من الأعمال الجزئية التى يرى فيها معنى العدل أو الإحسان، واستقام على هذه الطريقة لا يتردد فى كل حادثة، ولا يتحير فى كل جزئية. وإذا كره الجور والإساءة فكذلك يتجنب آلافاً من الأعمال يدرك فيها معنى الجور والإساءة. وهكذا تجمع معانى الخير والشر فى نفس الإنسان، هذه الجزئيات التى لا تنتهى، وتردها إلى كليات يشرع بها قوانين يسار عليها.

وإذا انتقلنا من الجزئيات الحسية إلى الكليات المعنوية، فقد انتقلنا من العالم الخارجى إلى النفس، ومن الماديات إلى المعنويات، ومن الجثمانيات إلى الروحيات. يجب أن تزكى النفوس وتزيدها إدراكا المعانى وكلفاً بها، حتى تسيطر على الحسيات سيطرة كاملة، فتعمل الخير وتجتنب الشر، غير مبالية بآلاف الصور الحسية وآلاف اللذات الجزئية.

ويسمو الإنسان شيئاً فشيئاً إلى إدراك اللذات المعنوية التى لا تحد ولا تنتهى، ولا يقدُرها قدرَها إلا من عرفها وأنس بها، ويتمكن الإنسان فى عالم المعانى، حتى يسمو على الحدود، حدود الزمان والمكان والأشخاص، فتتسع حياته، وتعظم همته، ويكلف بكل جليل، وينفر من كل حقير، ويُكبر بالقوانين العامة، ويستصغر المنافع الخاصة.

إذا جمعت النفس الواحدة هذه المعانى أو هذه القوانين، وجمعت الأنفس الكثيرة أى الجماعة أو الأمة هذه المعانى وهذه القوانين، استقام الواحد على طريقه مؤتلفاً مع كل واحد، وسارت الجماعة فى طريقها متآلفة متحابة.

وحينئذ يكون سعى الواحد لنفسه وللجماعة كل حين، إذ التأمت منفعته ومنفعتها بهذه القوانين الجامعة المؤلِّفة، وكان صلاحه صلاحها، وفساده فى فسادها.

وترقى هذه المعانى فى النفوس وتتمكن حتى يجد العامل الخير كل الخير، واللذة كل اللذة، فى إعطاء غيره بالعدل، وفى حرمان نفسه بالعدل، وحتى يكره كل الكراهة أن يأخذ ما ليس من حقه، ويأبى كل الإباء أن يستمتع بما يؤذى غيره، بل لا يجد فيها لذة ومتاعاً، ولكن ألماً وندماً.

ثم ترقى هذه المعانى فى النفوس وتتمكن، حتى يبلغ الإنسان المرتبة التى سماها بعض الصوفية مرتبة الكلية، وهى المرتبة التى بلغت بأحد المتصوفين أن يقول: «أشعر بأنى مأخوذ بذنوب الناس كلهم». كأنه ارتكب كل ما ارتكب الناس من ذنوب، فهو يألم لها ويخاف عاقبتها.

* * *

والجماعة كالنفس الواحدة تؤلف بينها العقائد وتهديها الشرائع، وتنشئها التربية على العمل بالعقيدة وإطاعة الشريعة، فتجتمع آحادها، وتتعاون أفرادها، فتلقى الحوادث بعقائد تثبتها، وشرائع تقومها، مجتمعة غير متنافرة، متعاونة غير متخاذلة، فتسير إلى غاية معروفة، على سبيل بينة، قوية على السير، متعاونة عليه، محتملة كل مشقة، مقتحمة كل عقبة.

والأمة التى لا تضمر عقيدة صحيحة، ولا تطيع شريعة قويمة، ولا يؤلف بينها نظام جامع، لا يثبتها فى اللزبات إيمان ولا خلق، فتلقى الخطوب فزعة هلعة، متدابرة متنافرة، متجادلة متلاعنة، كثلة من الغنم تفجؤها الذئاب.

فالعقائد والمذاهب والشرائع هي وسائل الوفاق فى النفس

الواحدة ، وفى الجماعة ، وعلى قدر قوتها وصحتها تكون قوة الائتلاف وصحته ، وتكون استقامة الواحد والجماعة على العمل الصالح ، والدأب على السير والصبر عليه ، والثبات فى الشدائد حتى تزول ، والتجلد فى الغمرات حتى تنجلى . وفى القرآن الكريم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم » . «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » .

وسنبين من بعدُ الأصل الذى ترجع إليه فروع الإيمان الصحيح ، والقاعدة التى تقوم عليها طمأنينة الناس ونجاتهم من الضلال والحيرة إن شاء الله .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

مستقبل الشعر

للأستاذ يوسف البعيني

أجمع فريق من الحكماء والمصلحين وفى طليعتهم الموسيقى البولونى المشهور أنتون بادربسكى على أن الفنون الجميلة تسير بخطى واسعة نحو الفناء . ومما قاله ذلك العبقرى الموهوب أن تلك الأنغام العميقة التى كانت ترفع الروح إلى الملأ الأعلى توارت أمام الموسيقى الأميركية الحديثة .

لقد صدق هذا الفنان فى تمليله ؛ فإن رجل الفن كان فى الماضى البعيد يغذى عبقريته بجمال الطبيعة . أما الآن فهو لا يعنى بإغناء موهبته وتهذيبها ، إذ طغت موجة المادة وتبدلت أغراض الحياة فاختلفت عما كانت عليه فى سالف الأجيال .

ليس من ينكر أن عصرنا هو عصر الراديو والسيطرة على عناصر الوجود . فالذوق البشرى يتجه اتجاهاً نحو المادة هازئاً بالروح . وقد نجم عن ذلك أن تدنى مستوى الموسيقى والشعر وسائر الفنون . وكما أن الآلة لا تفهم الفن ، فهل يفهمه الإنسان المستعبد للآلة ؟

إن فن الرسم ، وهو من أرقى الفنون ، فقد كثيراً من روعته بسبب اختراع آلة التصوير . وقد لاحظ أحد الرسامين أن الفنان فى الماضى كان يعنى عناية خاصة بإعطاء الصورة ملامح الوجه وتقاطيع الجسد — وهذا يظهر جلياً فى رسوم رفائيل وليونارد دى فينشى ولا كروا وسواهم — بينما نرى أكثر مصورى اليوم يهتمون بتصوير خطوط سطحية دون أن يعنوا بإيجاد الفكرة والمقاصد النفسية والخلقية فى الإنسان .

وما يقال عن فن الرسم يقال كذلك عن الموسيقى ، إذ أن الموسيقى الكلاسيكية لا تزال مرجعاً للناس فى هذا العصر . ولم يظهر حتى اليوم من تفوق على بيتهوفن وباخ وموزار وشوبين وبيزيه وفردى — فى زمن نرى فيه من يخترع القنبلة الذرية بدلا من أن يخفف مصائب المجتمع .

***

فإذا كان الرسم والموسيقى قد منيا بالرزيئة الفادحة فهل يتمتع الشعر ، وهو أجلى مظهر من مظاهر الألوهة فى الإنسان ، بتلك المنزلة التى كان يشغلها قديماً ؟

لقد كان للشعر دولة وأعلام فى الغرب ؛ أما اليوم فنرى نظماً لا شعراً ، وقشوراً لا لباباً ، وقتاماً لا نوراً . والسبب الوحيد هو أن الإنسانية أشاحت عن جوهر الجمال إلى مساخر مموهة بالطلاء والمساحيق . ومهد لهذه الحالة ما عصف بالمجتمع من زعازع ، وماروعه من مصائب ، فأفلتت أعنة الشعر من أيدى الشعراء وراح بعضهم يجشم الألفاظ والبحور ما لا طاقة لها به .

كان الشاعر يحمل على جبينه نجمة الإلهام فيتقوى على النوائب ويخوض الظلمات غائصاً إلى الأعماق ، فصرف نفسه عن الهدف المقصود متلهياً بالأوضاع السخيفة تلهى الطفل بالأكر ... وهكذا فقدت الحياة تلك الروعة التى كانت توغل فى أوشحتها المفاقة .

— فإذا لم يتحرر الشاعر من مادية هذا العصر ويمد إلى قيثارته القديمة فإن الشعر سائر إلى الموت .

هذا — وهل يستطيع أن يسمعنا أنغام الحياة بما فيها من خير وشر وقبح وجمال غير الشاعر ؟ وهو لا يؤدى رسالته فى الناس إلا حين يصور لهم أحزانهم وأفراحهم ، ويهديهم إلى مواطن الحق حيث تسود الميول والعاطفة والإحساس .

المثل الأعلى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

من أهم وسائل النجاح فى الحياة أن يحدد المرء له هدفاً يجعله غاية يسعى إليها ؛ لأن تحديد الغرض يمكّن صاحبه أن يتخذ له من الوسائل ما يضمن تحقيقه والوصول إليه ، أما هؤلاء الذين يسيرون فى حياتهم بلا هدف معين ، فهم كالذين يخبطون فى الصحراء على غير هدى ، قد تقودهم أقدامهم إلى بلد أمين ، وقد يرديهم الجهل والتخبط فيهلكون .

والمثل الأعلى نوع سام من أنواع تحديد الهدف ، لأنه الغاية القصوى التى يراها الإنسان منتهى آماله ، ويعد نفسه سعيداً ناجحاً إذا انتهى به المطاف فى الحياة إليها ؛ فهو للإنسان كالمنار الهادى ، يجذبه بنوره ولألائه ، ويضىء له مسالك طريقه

وكيف ترتاح النفوس إلى الشاعر إن لم يحمل إليها الأمل والتعزية ، ويوفر لها تلك الحياة الجميلة فى شتى نواحيها ؟

وهذه الحياة التى نريد أن يخلقها الشاعر لا نعثر عليها فى منتجات شعراء العصر بسبب المادة التى استأثرت بشعرهم فأفقدته تلك الحرارة بفقد العوامل التى كانت تثيره وتطلقه شعلاً زافرة على آفاق المجتمع . وهكذا اختل نظام الشعر — وما كان الشعر إلا دموع الإنسانية تنحدر قطراتها بلسماً على جراحه .

***

وبعد . فيستطيع الإنسان أن يبنى القصور ، ويحشد الثروات ، ويستعمر الأرض والفضاء ... يستطيع أن يفعل كل شىء ، لكنه إذا تغافل عن الشعر فإن حياته عسى عارية جرداء . والترب لو لم يخنق عاطفته وشعوره ما كان ليعانى اليوم أكبر أزمة فكرية فى تاريخه .

إن مستقبل الشعر بين الموت والحياة ، فعلى الملهمين من أبناء الحياة ، وقد سطروا القيم الخالدة على مدار العصور ، أن يحتضنوا الشعر ويغذوه بجمال الطبيعة ليقوى على مواكبة الأجيال .

يوسف البعينى
من العصبة الأندلسية

ويرشده إن انحرف أو ضل ، ويغريه إن يئس أو مل .

وهو يختلف باختلاف الناس ، فما يصلح أن يكون مثلا أعلى للتاجر ، لا يصلح أن يتخيره الصانع ، والزارع والمصلح والكاتب والسياسى ؛ لاختلاف كل فرد منهم فى غاياته ومراميه ، كما تختلف المثل العليا باختلاف عزمات الناس ؛ فما يتخيله صغير الهمة مثلا أعلى لا يرضى به الطموح ، ولا يقنع بالوقوف عنده :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

والغاية التى يسعى إليها المرء لا تسمى مثلا أعلى إلا إذا تحقق فيها شرطان أساسيان : أولهما أن تكون بعيدة المنال ، تحتاج إلى أمد طويل فى تحقيقها ، بل قد تحتاج إلى الحياة كلها . فالآمال التى يمكن أن تنال فى بضعة أعوام لا تدعى مثلا عليا ، فأن تكون مهندساً أو طبيباً أو قاضياً ليس من المثل الأعلى فى شىء ؛ ولكن أن تكون كبير المهندسين أو شيخ الأطباء أو قاضى القضاة هو المثل الأعلى الذى تكرس على نيله الحياة . وثانيهما أن تتطلب فى الوصول إليها جهداً غير عادى ؛ فما يمكن أن تناله من الرقى بمرور الزمن وحده لا يعد مثلا أعلى ، أما ما يحتاج منك إلى المشقة ، ويكلفك الجهد ، ويدفعك إلى العناء ، وكثيراً ما يحملك على أن تنهج نهجاً غير مألوف ، وأن تخترق الطريق من غير مواضع بدئه ونهايته فذلك هو المثل الأعلى .

يتخذ المرء مثله الأعلى شخصاً حيا يرقبه من قريب أو من بعيد ، أو شخصاً تاريخياً تبهره عظمته ، أو فكرة نبيلة تملكه ، ويهب حياته لتحقيقها ، فالتاجر مثلا قد يتخذ تاجراً آخر ناجحاً موفقاً مثلا أعلى له فى الحياة ، والحاكم قد يتخذ عمر بن الخطاب أسوة له حسنة ، والمصلح يتخذ فكرة صالحة مثلا أعلى يسعى لتحقيقه .

وإذا اختار الإنسان مثله الأعلى شخصاً حيا أو تاريخياً استطاع أن يدرس سيرته ، فيلمس فيها نواحى القوة والعظمة ، ويدرس المناهج التى اتخذت لتذليل الصعاب وتحطيم العقبات ، والوسائل التى اتبعت لنيل الظفر والفوز بالنجاح ، فتشحذ هذه الدراسة من عزيمة المقتدى ، ويرى فيها الدروس الصادقة الواقعية . غير أن الواجب فى الاقتداء ألا يلغى المرء شخصيته فيكون ذيلا

لسواء ، لأن إضعاف الشخصية ، ينافى طلاب الكمال والتسامى إلى المجد . والتقليد إنما يحصل فى نوع الفضائل التى تبهر كعدل عمر وصلابته ، ووطنية مصطفى كامل ومثابرته ، وقوة المتنبى وفحولته ؛ أما إذا اتخذ الشاعر شاعراً آخر مثلا له ، وظن أن معنى المثل الأعلى تقليده فى أفكاره ، والسرقة منه فى معانيه ، فإنه يعيش عيلا عليه ، لا يرتفع إلى مستواه ، ولا يمنحه الناس من الإجلال ما يمنحونه لمن يقلده ، فاحتفاظ المرء بشخصيته ، وطبع أعماله بطابع هذه الشخصية شرط أساسى للنجاح ونيل المجد .

كيف نختار لأنفسنا مثلا عليا ؟ ومن أين نأخذها ؟ وكيف ننجح فى الوصول إليها ؟ مسائل ثلاث مهمة ؛ فإن نجاح المرء فى الوصول إلى المثل الأعلى يتوقف إلى حد كبير على اختيار هذا المثل ؛ ولا يكون الاختيار حسناً إلا إذا عرف المرء نفسه ، ودرس اتجاهاته وميوله ، وعرف مقدار ما لديه من قوة الإرادة وصلابة العزم ، ثم بنى اختياره على أساس من هذه الدراسة الدقيقة . والإخفاق إنما يأتى من غرور المرء بقوته ، وظنه أن له من المزايا والصفات ما ليس له ، أو من خطئه فى تعرف ميوله واستعداده ، فيضل الطريق ويتيه ، فإذا كانت استعدادات الإنسان وميوله تتجه مثلا إلى التجارة ، والتصرف فى شئونها ، فليختر مثله الأعلى المجد التجارى ، وليثق بأن النجاح سيكون حليفه . أما إذا اختار أن يكون مثله الأعلى كاتباً يشار إليه بالبنان فهنا يكون الإخفاق ولا يتم الظفر بإحدى الناحيتين .

والمثل العليا لها مصادر شتى ، منها كتب التاريخ ، فهى حافلة بالنماذج السامية للانسانية ، يستطيع القارىء أن يتخذ منها ما يتفق مع ميوله وما يراه جديراً بالتأسى والقدوة . فى تلك الكتب يجد الحكام والزعماء والعلماء والمخترعون مثلا تهديهم وتنير لهم السبيل .

ومن تلك المصادر أيضاً كتب السير التى تتخذ موضوعها شخصية ناجحة تدرس حياتها ووسائل نبوغها ، والأسباب التى مهدت لها سبل الفوز والنجاح . وبهذه المناسبة أرى أن التأليف العربى ، يجب أن يعنى بتاريخ العصاميين الذين نجحوا فى حياتهم من التجار والصناع والزراع حتى نضع بين أيدى النشء نماذج لأنواع المثل العليا .

ومن مصادرها المسرحيات التى يكون من أغراضها تصوير السمو الإنسانى لبطل حقيقىّ أو متخيل ، وكذلك الروايات والقصص التى تعالج هذه الناحية السامية .

ومن تلك المصادر الشعر أيضاً ؛ فقد حفظ لنا صوراً لنماذج ممتازة من الناس ، ومثلا راقية من الأخلاق . ومنذ القديم يضع القادة الشعر فى قائمة تربية الناشئين ، وغرس المثل العليا فى نفوسهم . وللشعر أثر كبير فى توجيه النفس نحو الكمال ، والبعد عن الصغار ، وها هو ذا معاوية بن أبى سفيان يتخذ مثله الأعلى بطلا يأبى الفرار من ميدان القتال مهما كان الثمن :

حدث معاوية قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر أدبكم ، فقد رأيتنى بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمى بعد عن عرض صريح »

وقد صدق أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بناة الندى من أين تؤتى المكارم

هذا وفى الحياة أمامنا نماذج صالحة لأن تكون مثلا عليا ؛ فلدينا عصاميون جعلوا وسيلتهم إلى المجد همة ماضية وعزيمة قوية ، وهم شواهد حية على أن المرء يستطيع أن يحقق مطامعه إذا أراد وعمل .

والطريقة الفضلى لتحقيق المثل الأعلى أن نرسم الخطط والوسائل التى تصل بنا إليه ؛ فإننا إذا حددنا المنهاج وضح أمامنا الطريق ، ورسم الخطة يحتاج إلى تفكير عميق ووزن دقيق للأمور واستفادة من تجارب الآخرين . ومن الواجب أن تكون الخطط التى تصل إلى المثل الأعلى متنوعة متعددة ؛ فإذا نال المرء الإخفاق فى واحدة لم يكن لليأس سبيل إلى نفسه ؛ ولم يصطدم بهذا الإخفاق ،

بل يكون قد أعد العدة من قبل لينهج نهجاً آخر يصل إلى الغاية عينها؛ أما إذا رسم لنفسه خطة واحدة، ولم يفكر فيما يصنعه إذا أصيب بالإخفاق فإن الصدمة تكون قاسية إذا فشل قد تقضى عليه وتحطمه. والمرء حين يضع الخطط يقدر دائماً أن كل خطة منها عرضة للنجاح والفشل، لأن ظروف الحياة لا سلطان لأحد عليها حتى يكيفها كما يريد. فليقدر المرء إذاً حين يخطو كل خطوة أنه قد يفوز وقد يخفق، لأن هذا التقدير يحول بينه وبين الصدمة إذا لم تنجح خطوته، فيعود من جديد ليحاول محاولة جديدة. والذى يصمم على النجاح لابد أن يظفر به ولو كانت الخطوات الأولى فى سبيل أمله فاشلة غير ظافرة:

ومغالب العقبات حتما غالب إلا إذا اطرح الجهاد وقصرا

فأول شرط النصر — كما يقولون — إرادة النصر. والتصميم على الظفر يسهل على المرء هذه المحاولة من جديد إذا أخفق، كما أنه يحول بينه وبين اليأس الذى هو أعدى أعداء المثل العليا؛ لأن اليأس رضا بالخيبة واعتراف بالضعف، ووقوف فى منتصف الطريق ونكوص عن الجهاد. ومن أين لليائس أن يظفر بغايته وقد رضى أن يضع سلاحه ويستريح:

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ومن بواعث اليأس فى النفس التفكير فى ماض مخفق، والحزن على ما أفلت من فرص، فإن ذلك الحزن يضعف قوة المرء على الجهاد. وإنما يفكر المرء فى الماضى لا ليحزن على مافات، ولكن ليتخذ من أغلاطه عظة ودرساً فى قابل الأيام!

إن من يهيء نفسه لنيل مثل أعلى يجب أن يعلم أن الطريق إليه شاق طويل ملىء بالصعاب والعقبات، وأن لا سبيل إلى قطعه إلا إذا كان لديه ذخيرة كبيرة من الجلد والمثابرة، فإن بلوغ الآمال لا يتطلب منا ذكاء نادراً، ولكنه يتطلب الصبر والمثابرة. سئل بعض المربين عن شروط النجاح فقال: ثلاثة: أولها المثابرة، وثانيها المثابرة، وثالثها المثابرة.

كما أن التفاؤل يجب أن يكون رفيق المرء فى هذا الطريق، لأن التفاؤل يبعث فى النفس سروراً، والسرور يضاعف قوة المرء على الاحتمال، وعلى تخطى الصعاب والعقبات؛ وليس معنى التفاؤل تقدير النجاح فى كل خطوة، ولكن معناه تقدير النجاح النهائى، واعتقاد أن الفشل عارض من المستطاع التغلب عليه.

هذا، وعلى من يريد المثل العليا أن يحاسب نفسه فى الحين بعد الحين، ليرى مقدار ما قطع من الطريق، ومدى نجاحه فى خطته؛ ليعدل منهجه إذا احتاج الى التعديل، ويستفيد من أخطائه إذا هفا وزل.

ومن ذلك يتبين أن المثل الأعلى ليس أمنية تتمنى، ولا أملا يرجى، ثم يقف المرء عند التمنى والرجاء:

فما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء

فهو هدف يجاهد المرء فى سبيله، ويكرس له حياته واضعاً نصب عينيه قول أبى تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

فلسفة طاغور الأخلاقية :

حقيقة المـــوت
لا تبعث على التشاؤم

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

إن خوف الهند التقليدي من المرض والشيخوخة والموت خوف قديم قدم حضاراتها الأولى ، إذ كانت الهند منذ أن عرفها التاريخ موطن الأمراض المعدية المهلكة التي تحصد الناس حصداً ، ومرتعاً خصيباً للأوبئة الفتاكة التي كانت تجتاح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وتنزل بأهلها السقام .

فأشاع أنين المرض الفزع في النفوس ، وعدت الأوبئة من تلك الأحداث الفاجعة التي تحض على كراهية الحياة ، وتحث على الهرب منها . ولم يكن للشيخ مكانة محترمة في هيئة إجتماعية مزحومة بالسكان ، لعجزه عن القيام بمطالب الحياة الضرورية ، واعتماده على غيره في كل شيء . بينما الموت الذي لا يعبر إلا عن نهاية الحياة ، كان أشد الأحداث الإنسانية وقعا في نفوس الهنود الذين أفقدهم الموت الأمل في جدوى العيش في كنف عالم لن يفلت فيه أحد من شر المنية .

ولقد كان لهذه الوقائع الثلاث أثر ملحوظ في الحياة الهندية الروحية لوَّنها بلون قاتم نشر فيها التشاؤم ، وبغض الهنود في الإندماج في الحياة العامة ، وأصبح مثلهم الأعلى هو تجنب كل مايتعلق بالدنيا من أمور عارضة ، لأنها تجلب الآلام ؛ والانغماس فيها لا يثير إلا القلق والخوف والشك . فاستطاب الهنود إعتزال المجتمعات حتى لا يتعرضوا لأي نوع من الأذى يملأ قلوبهم بالأسى والشجن .

وما هجر بوذا قصر أبيه الملكي إلا بدافع من الفزع من الموت والشيخوخة والمرض ، وما تخلى من حياة الترف إلا ليدفع من نفسه عذاب الدنيا الذي تمثل له في هذه الأحداث الأليمة التي صبغت تفكيره بصبغة سوداء ، وشكلت وجدانه في قالب حالك ، فرأى العالم غارقاً في الآلام ، واعتقد أن الحياة سلسلة لا تنتهي من الأحزان لن يخرج من دائرتها أحد مالم يعتزلها ، ويرضى بعيشة الزهاد .

أما طاغور فلم يجزع من الحياة جزع بوذا ، ولم يطرأ على باله أن ينسحب منها ، ويأوى إلى زاوية نائية يعتزل فيها الناس ، ويعيش في كهف أو غار عيشة الرهبان ؛ بل رأى أن الخلق انطلق من السرور اللانهائي حينما غمر الخالق هذا السرور ، وأن سعادة الحياة في عودة الإنسان إلى مصدره الأصلي أي إلى السرور . فالخلق يخرج من السرور بالسرور ويرجع إلى السرور ، والحياة قائمة على السرور تستمد منه نشاطها وتطورها ، بل هو حافزها إلى التقدم والرقي . وإن كانت هذه الآراء أفكارا هندية قديمة ، فإن طاغور أضفى عليها من ضياء نفسه ما جعلها تبدو كأنها صادرة منه ، ولم تصدر من أحد قبله ، لأنه أعطاها قيمة أولية ، واتخذ منها مبدأ يزيل به ما يعلق بالنفس الهندية من نزعات تشاؤمية ، حببتها في حياة سلبية اعتزالية بعيدة عن ميادين الأرض الحيوية ، مما حمل المستشرقين على إتهام العقلية الهندية بأنها تقف من الحياة موقفاً سلبياً ، وتعجز عن الإندماج فيها ، ولا تقدر أن تسلك طرقاً إيجابية فعالة تفيد الإنسان في عيشته الواقعية أوتقدم ركب الحضارة الإنسانية .

ولكن ما الذي يفزعنا من المرض والشيخوخة والموت ما دمنا نعلم أننا إنبثقنا من السرور بالسرور ، وأننا يجب أن نسعى لنعود إلى السرور إذا أردنا أن نعيش في سعادة لا يشوبها ألم .

لا ريب أن تحقيق وحدة الوجود بتلاشي الفرد في النفس الإنسانية ثم في محتويات الطبيعة ، هو السبيل المباشر لذلك السرور . لأن فناء الفرد في النفس الإنسانية يتطلب التمثل بقوانين النفس الأخلاقية عن طريق خوض المجتمعات الإنسانية ، حتى تمتحن أعماله ، وتختبر مشاعره ، ويتأكد من صفاء نيته في الاتحاد بالله .

فإن جاهد في سبيل الله ، وعمل على رقي الحياة البشرية ، ولم يبال بما يقابله من صعاب ، ولم ينظر إلى منافعه الخاصة ، فقد سار في طريق وحدة الوجود ، وقرب من السرور الإلهي .

وإذا استمر فى السير فى طريق الله ، وعمل على أن يمحى ذاته فى محتويات الطبيعة بالكشف عن القوانين الطبيعية مدركا أنها رسل الله فى الكون ، وآياته البينات التى تشير إلى وجوده فى كل مكان ، فبشره بالفوز بالحياة فى السرور المطلق لأنه أدمج فى ذاته النفس الإنسانية بالطبيعة الكونية وحقق وحدة الوجود .

وهكذا لم يكتف طاغور بإخراج الإنسان من السرور بالسرور ، وإنما اتخذ من السرور نفسه محوراً جوهرياً تدور عليه حياته ، إذ اعتبر القيم الروحية والعمل الخير النافع والعلم البعيد عن الهوى المؤدى إلى الله ، ومسائل تحقق وحدة الوجود التى تبعث السرور . لأن التمسك بالفضائل من غيرية وتضحية وحب للانسانية ، تطهر النفس من العواطف الشريرة والانفعالات القاسية التى تعرض الحياة لمختلف ضروب الآلام النفسية . بينما العمل الخير النافع يقوى الملاقات بين الأفراد ، ويوثق الروابط بين الدول ، ويحث الجميع على المساهمة فى الشئون الإنسانية ، ويساعد على تنقية الفكر من الاتجاهات التشاؤمية ، وتبرر له ضرورة اندماجه فى الحياة الإجتماعية .

وبذلك يقضى العمل على كل نزعة تحض على الهرب من مشاكل الأرض . ولا يقل شأن العلم فى حياة الإنسانية عن شأن القيم الأخلاقية والعمل الخير ، إذ أن معرفة القوانين الطبيعية فضلا عن أنها تبين ملامح الله فى وجه الخليقة ، فإنها تفهمنا كذلك طبيعة الأشياء وكيفية سيرها . وبذلك يسهل علينا إصلاح أى خلل يصيبها . فهى تعرفنا قوانين الجسم الإنسانى ، وتحدد أسباب إصابته بالأمراض ، وتبين وسائل مقاومة هذه الأمراض التى أرهبت الهند منذ فجر الحضارة ، وتخفف من حدة آلامها التى دفعت الهند إلى هجرة المجتمعات . وبذلك يزيل العلم خوفنا من المرض وما قد يحدثه فى النفوس من ذعر واضطراب وريبة . . .

فالهندى فى طريقه نحو الله يزداد إيمانه بالقانون الخلقى لأنه يجلب السرور ، ويقوى إعتقاده فى أن السعادة فى الانغماس فى الحياة اليومية لا فى الهرب منها ؛ ويستفيد من معرفة قوانين الطبيعة فى توضيح أسباب المرض ، وتعرض عليه كيفية علاجها وتعلمه طريقة تجنب آلامها ، فتصون عليه مصائبها ، وتذهب عن نفسه تلك الهواجس التى تفسد حياته وتحصرها فى آلام وهمية ، وأحزان مبالغ فيها .

وتحقيق وحدة الوجود لا يستأصل بذور التشاؤم من النفس ، أو يقضى على مخاوف المرض ، ودائماً يهيىء النفس كذلك لأن تبقى فى شباب أبدى لا يلحقه الهرم ، ولا تدركه الشيخوخة ، ويحافظ دائماً على حيوية الروح ، حتى لا يسرى العجز إطلاقاً إلى قوتها ، ويحمى النفس من الضعف والوهن . لأن الإنسان فى مثل هذه الحياة الإلهية يعيش فى كنف اللانهاية التى لا تعرف غير نضارة الشباب وقوة الفتوة . فمن بلغ درجة الفناء فى الله ، وغمرته وحدة الوجود لا تتصدع قواه ، ولا تختل طاقاته ، ولا يتخلف عن مهام الحياة الإجتماعية مهما كبر سنه ، لأن روحه ستظل شابة إلى الأبد تحس بقوة دافعة إلى الاضطلاع بأعظم الأعمال بدون أن تنفر من كد الخير أو تتألم من قسوة العمل .

ولذلك لا ينبغى أن يقصر أحد فى تحقيق وحدة الوجود ، فإنها تسوقه إلى ذلك السرور الذى نزغ منه ، وتنجيه من آلام المرض ومخاوفه ، ومن هزال الشيخوخة وخذلان القوى . أما الموت الذى يعد المصدر الرئيسى للتشاؤم ، والذى عول عليه كل متشائم فى تعزيز نظرته الداكنة نحو الحياة ، فما هو إلا حدث من تلك الأحداث التى تقابل الإنسان فى طريق الحياة ، وهو لا يحول دون تقدمه ، ولا يقف عثرة فى سبيل رقى البشر . كما أن الحياة لا تعطى له من الأهمية بحيث تشتغل به فكر الإنسان ، فيغفل عما هى قائمة عليه من سرور ، وما يمكنها أن تبعثه فى نفسه من غبطة وحبور . والذى يشهد على ذلك هو أن الإنسان يلهو ويلعب ويضحك كما يجد ويعمل ويدخر ويأخذ أهبته لذلك اليوم الذى يفاجئه فيه الموت . بل إن سير قادة الروح تدل على أن الموت لا يوجد ثغرة فى ميدان الحقيقة التى يسمون إليها ، لأنه لا يؤدى إلى فناء الروح الخالدة ، ولا يعوق تلاشيها فى الذات الإلهية ، أو يعطل تحقيق وحدة الوجود ، إذ أن الروح لن تموت أبداً ، مادامت هى والعالم الذى يكمن فيه الله شيئاً واحداً ، وثم من صورة من سرور الله الذى أظهر به ذاته فى الكون

فالموت ليس له أثر عميق فى الحياة ، ولا يعبر إلا عن حادثة

فردية ، لاتفسر إلا ذاتها فقط ، وإنما تفزع منه عندما تلتفت إلى حادثة من أحداثه ، وتنظر إليها نظرة منفصلة عن الحياة الشاملة التي تضم جميع الأحداث الإنسانية التي من بينها الموت . ومثل من يبالغ في جزعه من الموت في ميدان الحياة ، مثل من ينظر إلى جزء صغير من قطعة قماش كبيرة خلال مجهر ، فتبدو له كالشبكة ، فيرتمد فرقا من مجرد مشاهدة خروق هذا الجزء الكبير ، بدون أن ينتبه إلى بقية أجزاء قطعة القماش .

ولكي يذهب عن الإنسان ذلك الهلع الذي يثيره الموت في نفسه ، يجب أن يعلم أن هناك وحدة مزدوجة في الحياة تشمل الموت والحياة معاً ، وأن الموت مظهرها السلبي الخادع لأنه موت لايسبب فناء الروح وإن كان رفيقاً لايفارق الحياة ، بل إن الروح العظيمة ترحب بالموت ، وترى الدوام فيه وفي الحياة على حد سواء ، وتقبل أن تضحي بوجودها الدنيوي في سبيل تحقيق وحدة ، وتنظر إلى ظهور الإنسان واختفائه على أنه شيء أشبه بارتفاع الأمواج وانخفاضها على سطح البحر ، بينما الروح باقية أبداً في الموت والحياة مثل بقاء البحر سواء علت أمواجه أم هبطت . ولا تنالى إذا زعمنا أننا نطلب الموت حين نرفضه ، لأن خوفنا منه يحبس الروح في حدود الحياة الأرضية ، ويلزمها أن تعيش على وتيرة واحدة لاتغير فيها ، ولا تسمح بأي تطور يعتريها ، فلا تحس بأي دافع يحفزها لتجمل حدودها شيئاً لانهائيا ، ولا تستطيع أن تتصور أن الحصول على الكمال الروحي ، قد ينتهي بها إلى موت دائم وحياة دائمة يسيران جنباً إلى جنب في وقت واحد ، لأن بلوغ الكمال لايتم إلا بعد فناء الذات الفردية وبقاء حقيقة وحدة الوجود الإلهية .

وهكذا لايبعث المرض والشيخوخة والموت على التشاؤم ، مادام الإنسان لايجهل حقيقة اتحاد الخليقة بالخالق ، ويعمل على تحقيقها في ذاته ، ويؤمن بخلود الروح في اللانهاية . أما الذين يمعنون في التشاؤم ، ويستشهدون بالموت في تدعيم نظرتهم العابسة نحو الحياة ، لا شك أن تشاؤمهم ليس إلا نزوة فكرية أو انحرافاً عاطفياً ينبذ ما في الحياة من سعادة وخير وحب كما ينبذ المريض الطعام الصحي ، ويعب في شراب التشاؤم الفاسد ، الذي يسمم النفس ، ثم مصطنع يوحي إليها بالأفكار الحزينة ، ويبعث فيها العواطف الضالة التي يمكن أن تبدد من الأذهان بمجرد ملاحظة قدرة الحياة على التقدم المستمر ، ونجاحها المتواصل في تحقيق مآربها الحضارية التي تنشد الوصول إلى أقصى درجات الكمال ، لتنعم البشرية بحياة ملائكية في سرور إلهي سرمدي .

وينتهي طاغور من ذلك كله إلى أنه لاينبغي أن نهيم في واد من الهواجس المرعبة ، أو نغرق في خضم من الأوهام السود ، أو نرى الوجود قائما على العذاب والحزن ، فنهجر الحياة هربا من آلامها وخوفاً من أشرارها ؛ وإنما يجب أن نخوض المجتمع الإنساني واثقين من أن كل من يجتهد في سبيل وحدته بالله الذي يتجلى في كل شيء في الوجود ، سيتغلب حتما على مايقابله من أحزان وآلام ، ويقتلع الشر من أساسه ، ولا يجد في المرض والشيخوخة والموت إلا أحداثاً تافهة تمر بكل إنسان ، ولا تؤثر في حياته ، ولا تلهيه عن توجيه عنايته نحو الله ، ليفوز بالاتحاد به ويعيش في السرور الذي صدر عنه .

(كفر الزيات) **عبد العزيز محمد الزكي**

أثر العظماء فى التاريخ

للأستاذ نجم الدين حمودي

إن أثر الأفراد فى تغيير مجرى التاريخ من الموضوعات الطريفة التى جلبت اهتمام المفكرين فى كافة العصور . ولا عجب إذا وجدنا الفلاسفة يولون هذه المشكلة عنايتهم ، فيثيرون الجدل حولها . ومن الجدير بالذكر أن هذا الجدل جعل الفلاسفة ينقسمون إلى فئتين متناقضتين : فئة تقول : « إن التاريخ فى جوهره عبارة عن سير العظماء » ؛ أو بكلمة أوضح : « إن التاريخ من صنع الصفوة الصالحة من الذين يؤلفون زعامة اجتماعية مستمدة من مزاياهم الشخصية(١) » . أما الفئة الثانية فتدعى عكس هؤلاء تماماً ، ولسان حالها يقول : إن العظماء نماذج كاملة للبيئة التى يعيشون فيها .

إن فيمن يعضد نظرية تأثير العظماء فى سير التاريخ وقدرتهم على تغييره الكاتب الانكليزى « توماس كارليل » فى كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) فيتحدث عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم و « أوليفر كروموبل » ويجعلهما أمثلة للرجال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ . أما رأى « كارليل » فى نابليون فيختلف كل الاختلاف عن رأيه فى النبى محمد وكروموبل ، إذ أنه يجرده من صفة العظمة . ويشاركه فى هذا الرأى الكاتب الروسى « تولستوى » الذى يحلل شخصية نابليون بقوله : (إنه رجل خلقته الظروف والمصادفات التى تحكمت فى انتصاراته أول الأمر ثم عادت فسببت خذلانه واندحاره) .

ومن أبرز المؤرخين المعاصرين فى إنكلترا الذين شرحوا نظرية العظماء، وأثرهم فى التاريخ السر « شارل أومان » أستاذ التاريخ فى جامعة أكسفورد الذى يعارض نظرية التطور التى فحواها : إن التاريخ سلسلة من الحوادث التدريجية الاعتيادية . وبهذا تتضاءل هذه النظرية عن أثر العظماء وقدرتهم فى تغيير التاريخ فتجعل من أعمالهم صورة للأمور التدريجيه الاعتيادية المحتمة الوقوع .

(١) على أدهم (المذاهب السياسية المعاصرة) مصر ١٩٤٠ .

إن السر « أومان » من مؤيدى نظرية العظماء ، ويدعم رأيه بأمثلة لأشخاص غيروا مجرى التاريخ دون أن يكونوا ممثلين لبيئتهم التى عاشوا فيها . وأول مثل يستشهد به هو النبى محمد (صلعم) فيقول : (لقد أخفقت فى محاولاتى الكثيرة لا يجاد مؤرخ واحد يستطيع البرهنة على أن النبى محمد (صلعم) كان وليد الحالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كانت تسود الجزيرة العربية فى القرن السابع بعد الميلاد . ولم أجد بين المؤرخين أبداً من يقدر أن يقول : لو لم يبعث النبى محمد (صلعم) لكان من الطبيعى أن يستعاض عنه بشخص يقوم بنفس المهام التى اضطلع بها . ويستمر السر « أومان » فى بحثه عن النبى محمد (صلعم) فيقول : (منذ القرن الثانى للميلاد حتى أواخر القرن التاسع عشر وجد عدد من الأنبياء أو الذين حاولوا التشبه بهم كظهور المهدى فى السودان ، إلا أن جميع هؤلاء لم يقوموا بأعمال خارقة كالتى قام بها النبى محمد الذى جعل أبناء الصحراء أمة تمكنت من المحافظة على المدنية وتقدمها فى نصف أرجاء المعمور .

يبلغ اعتداد السر « أومان » بنظريته الذروة عندما يستشهد بسيرة وليم الفاتح فيقول : (لقد لعبت بريطانيا العظمى خلال القرون الماضية دوراً مهماً فى تاريخ ومقدرات العالم . وإنى أؤكد جازماً أنه لولا مجىء وليم الفاتح لما تيسر لبريطانية أن تلعب هذا الدور فى الأوضاع العالمية ، وأن تاريخ بريطانية كان من المحتمل أن يكون شبيهاً بتاريخ الدول الاسكندينافية ، أى معزولاً عن السياسة الأوربية العامة لولا وليم الفاتح وانتصاره فى موقعة (هيستنكز) عام ١٠٦٦ . ولا غرو إذا قلنا إنه لو كتب لوليم الفاتح أن يندحر عوضاً عن (هارولد كود وينسون) فى موقعة جسر (سنلاك) لبقيت بريطانية محافظة على عزلتها ولازمت عدم التدخل فى القارة الأوربية .

ونستعرض الآن رأى كاتب آخر يفوق السر « أومان » فى أعمق تفكيره ، وبحثه الفلسفى المركز ؛ وهذا الكاتب هو (جيكوب برخاروت) أستاذ التاريخ بجامعة « بيزل » فى سويسرة بين عام ١٨٦٥ ، ١٨٨٥ . يبتدئ (برخاروت) بالقاء نظرة عامة على مفهوم كلمة العظمة والغموض الذى يكتنف ماهيتها لعدم وقوعها ضمن الأشياء المادية التى يمكن وزنها وقياسها ،

فلا هي هبة حتى يعرف مصدرها ، ولا هي منحة حتى يشار إلى مانحها ؛ وعلى هذا الأساس فإن الحكم على عظامة الأشخاص حكماً عادلاً أمر من الصعوبة بمكان عظيم .

ويعتقد (برخاروت) أن من أهم الصفات اللازمة للعظمة أنها وحدة فريدة غير ممكنة التعويض . ولهذا فالرجل العظيم هو ذلك الشخص الذي لولا وجوده لما تم تنفيذ جزء مهم من الأعمال الخطيرة في تلك الحقبة من الزمن والمكان اللذين عاش فيهما . ويتعرض (برخاروت) إلى المثل السائر « ليس هناك فرد لا يمكن تعويضه فيقول : (نعم إن هذا المثل يصدق في أكثر الحالات وأعمها ، إلا أن أولئك الافراد الذين لا يمكن تعويضهم هم العظماء ، ويكونون عادة أقلاء وسيبقون كذلك أو ربما يقلون .

ولا شك أن التقدم الذي بلغته الإنسانية في المضمار الحضاري من علوم وفنون وآداب أصبح ممكناً بفضل جهود نفر من العظماء الذين سخروا مواهبهم في سبيل تحقيق هذا التقدم . وإن من يدرس آراء (برخاروت) بصورة دقيقة يلاحظ أنه يميل إلى أن العظمة تتمثل في الفلاسفة والفنانين فقط ، فيقول في سياق بحثه : إنني لا أعد المخترعين والمكتشفين من العظماء لأن ما ينتجونه يمكن الوصول إليه في يوم من الأيام ، أما الفلاسفة والفنانون فلا يمكن أن يستعاض عنهم بصورة مطلقة . فلو صادف أن مات رفائيل قبل نضوجه الفني لما خرج في العالم شخص مثله يتمكن من رسم لوحته الخالدة « تجلي المسيح » . ومن البديهي أن يكون تصور العاطفة والخيال ، وتجسيد الوحي والالهام في هيئة جميلة ، وإظهارها بشكل آية فنية رائعة تكشف النقاب من مواطن الجمال ، ليس بالأمر الهين ؛ لأن إعادة خلق الأفكار وتجسيدها في مظهر فني لايقدر أن يقوم به إلا خالق الفكرة نفسه .

خاتمة :

أعتقد أن الآراء التي بينتها حتى الآن تكفي لإعطاء فكرة عامة عن النظرية التي تقول : (أن التاريخ سلسلة من سير العظماء) أما النظرية المعاكسة التي من أبرز زعمائها « سبنسر » فتقول إن الإنسان خاضع لمحيطه ويتطور بتطوره . وإذا ما تعارضت ميول الفرد مع سير الحوادث تبددت وزالت ولا يبقى إلا آثار التطورات الاجتماعية المحتمة الوقوع . ويدعى أصحاب هذه النظرية — نظرية التطور — أن الأعمال العظيمة التي استطاع أبطال التاريخ أن يقوموا بها لم تتيسر لهم إلا عندما اتجهت إرادتهم وميولهم نحو تحقيق الرغبات التي كانت ضرورية لتطور المجتمع . لذلك فإن التطور المادي هو أساس كل شيء في التاريخ ، وكل الحوادث التاريخية بما فيها سير الأبطال تتمشى وسنة الطبيعة بدون استثناء

وبعد أن استعرضت بصورة مجملة آراء كل من أصحاب النظريتين أود أن أذكر بأن كلا الفريقين على الرغم من الحقائق التي يبينوها كانوا مغالين في نظرياتهم ، والمثل على ذلك ما ذكره السر « أومان » عن النبي محمد (صلعم) ، فمع أنه عظيم حقاً إلا أن ذلك يجب أن لا يحجب عنا حقيقة واقعة وهي لو لم تكن الظروف مهيئة لقبول دعوته ، ولو لم تكن هناك عوامل كثيرة ساعدت على نشر رسالته لما كان له هذا التأثير على مجرى التاريخ . والكلام نفسه يقال عن وليم الفاتح ؛ إذ أن إيجاده لنواة بريطانيا كان في طريق التحقيق قبل ظهوره .

أما جهة نظرية التطور فليس من المعقول أن تفسر جميع حوادث التاريخ بتفسيرات مادية صرفة وتهمل أثر الشخصيات الفذة التي أثرت في سيره . ولهذا فالنظريتان إذ فرقنا كلا منهما على حدة تفشلان في تفسير الحوادث التاريخية وأثر العظماء فيها ؛ ولكن إذا جمعناهما معاً وشكلنا نظرية ثالثة تجعل العظماء يؤثرون على الظروف ويكيفونها بحسب أهوائهم ، وفي الوقت نفسه تجعل الظروف تؤثر على العظماء وتتحكم في مصير أعمالهم نكون قد قربنا كثيراً من الحقيقة .

نجم الدين حمودي
سكرتير مجلة سومر — بغداد

حرارة الصــــيف
بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ومن ظريف ما ينقل عن تدابير القدماء في اتقاء قوة الحر ما نقله ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء في ترجمة الطبيب بختيشوع بن جبرئيل ، وقد قال عنه الدكتور أمين أسعد خير الله في كتابه عن (الطب العربي) إنه كان مقرباً من الخليفة المتوكل وكان غنياً وأنيقاً يشابه الخلفاء من حيث اللبس والحاشية والمعيشة . ومن الطريف أنه كان أول من استعمل طريقة تكييف الهواء والحرارة كما حدث عنه أبو محمد بدر . قال ابن أبي أصيبعة (حدث) أبو محمد بدر بن أبي الأصبع الكاتب قال حدثني جدي قال دخلت إلى بختيشوع في يوم شديد الحر وهو جالس في مجلس مخيش بعدة طاقات من الخيش وفي وسطها قبة عليها جلال من قصب مظهر [(١)] بديبقي قد صبغ بماء الورد والكافور والصندل وعليه جبة يماني سعيدى مثقلة ومطرف [(٢)] قد التحف به ، فعجبت من زيه ، فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد أمر عظيم ، فضحك وأمر لي بجبة ومطرف وقال يا غلام اكشف جوانب القبة ، فكشفت فإذا أبواب مفتوحة من جوانب الإيوان إلى مواضع مكبوسة بالثلج وغلمان يروحون [(٣)] ذلك الثلج فيخرج منه البرد الذي لحقني ، ثم دعا بطعامه ، فأتى بمائدة في غاية الحسن عليها كل شيء ظريف ، ثم أتى بفراريج مشوية في نهاية الحرة ، وجاء الطباخ فنفضها كلها فانتفضت ، وقال هذه فراريج تعلف اللوز و (البزر قطونا) وتسقى ماء الرمان .

(١) جلال جمع جلة وهي في النجد قفة كبيرة ، ظاهر الثوب جمل له ظهارة وهي في الثوب ضد البطانة قال الفيروزبادى في القاموس وديق كامير بلدة بمصر منها الثياب الديبقية .

(٢) المطرف رداء من خز ذو أعلام ، والجبة ثوب واسع يلبس فوق الثياب .

(٣) روح عليه بالمروحه حرك يده بها يستجلب الريح .

ولما كان في صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد وعليه محشوة وكساء وهو جالس في طارمة في الدار على بستان في غاية الحسن وعليها سمور [(١)] قد ظهرت به وفوقه جلال [(٢)] حرير مصبغ ولبود [(٣)] مغربية وأنطاع أدم [(٤)] يمانية ، وبين يديه كانون [(٥)] فضة مذهب مخرق وخادم يوقد العود الهندي وعليه غلالة قصب [(٦)] في نهاية الرقة ؛ فلما حصلت معه في الطارمة وجدت من الحر أمراً عظيما ، فضحك وأمر لي بغلالة قصب وتقدم بكشف جوانب الطارمة فإذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد ، وكوانين فيها فحم الغضا ، وغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق كما تكون للحدادين ؛ ثم دعا بطعامه فأحضروا ما جرت به العادة في السرو [(٧)] والنظافة فأحضرت فراريج بيض شديدة البياض فبشعتها [(٨)] وخفت أن تكون غير نضيجة ، ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت ، فسألته عنها فقال هذه تعلف الجوز المقشر وتسقى اللبن الحليب . وكان بختيشوع ابن جبرائيل يهدى البخور في درج [(٩)] ومعه درج آخر فيه فحم يتخذ له من قضبان الأترج [(١٠)] والصفصاف وشنس الكرم المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف والشراب العتيق ، ويقول أنا أكره أن أهدى بخوراً بغير فحم فيفسده فحم العامة ، ويقال هذا عمل بختيشوع .

(وحدث) أبو محمد بدر بن أبي الأصبع عن أبيه عن أبي عبدالله محمد بن الجراح عن أبيه أن المتوكل قال يوماً لبختيشوع : ادعني؛ فقال السمع والطاعة . فقال أريد أن يكون ذلك غداً . قال نعم وكرامة ؛ وكان الوقت صائفاً وحره شديداً ، فقال بختيشوع لأسبابه

(١) السمور حيوان بري يشبه ابن عرس وأكبر منه . لونه أحمر مائل إلى السواد يتخذ من جلده فراء ثمينة وربما أطلق السمور على جلده .

(٢) والجل من المتاع البسط والأكسية ونحوها جمعه جلال .

(٣) اللبد كل شعر أو صوف متلبد . البساط من صوف ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج جمعه لبود .

(٤) النطع بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم علية بالعذاب أو بقطع الرأس ، والأديم الجلد المدبوغ جمعه أدم .

(٥) الكانون الموقد .

(٦) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، والشعار ما تحت الدثار من اللباس وهو مايلى شعر الجسد ، والقصب ثياب ناعمة من كتان، الواحد قصبي .

(٧) السرو السخاء في المروءة .

(٨) تبشع فلان بالأمر ضاق به ذرعاً .

(٩) الدرج سفيط صغير تدخر المرأة فيه طيبها وأدواتها .

(١٠) الأترج من جنس الليمون ويقال له أيضاً الترنج .

وأصحابه : أمرنا كله مستقيم إلا الخيش فإنه ليس لنا منه ما يكفى . فأحضر وكلاءه وأمرهم بابتياع كل ما يوجد من الخيش بسر من رأى ، ففعلوا ذلك وأحضروا كل من وجدوه من النجارين والصناع فقطع لداره كلها صحونها وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها خيشاً حتى لا يجتاز الخليفة فى موضع غير مخيش ، وإنه فكر فى روائحه التى لا تزول إلا بعد استعماله مدة فأمر بابتياع كل ما يقدر عليه بسر من رأى من البطيخ ، وأحضر أكثر حشمه وغلمانه وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها ، وأصبح وقد انقطعت روائحه ، فتقدم إلى فراشيه وعلقوا جميعه فى المواضع المذكورة . فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الخيش وجدته، فقال أى شئ ذهب برائحته؟ فأعاد عليه حديث البطيخ فعجب من ذلك . واستشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً . وأراد النوم فقال لبختيشوع أريد أن تنومنى فى موضع مضىء لا ذباب فيه ، وظن أنه يمتنه بذلك . وقد كان بختيشوع تقدم بأن تجعل أجاجين السيلان (١) فى سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة . ثم أدخل المتوكل إلى بيت مربع كبير سقفه كله بكواء (٢) فيها جامات يضىء البيت منها وهو مخيش مظهر بعد الخيش بالدبيق المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور ، فلما اضطجع للنوم أقبل يشم روائح فى نهاية الطيب لا يدرى ما هى لأنه لم ير فى البيت شيئاً من الروائح والفواكه والأنوار ، ولا خلف الخيش لا طاقات ولا موضع يجعل فيه شئ من ذلك . فتعجب وأمر الفتح بن خاقان أن يتتبع حال تلك الروائح حتى يعرف سورتها ، فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صغاراً لطافاً كالطاقات (٣) محشوة بصنوف الرياحين والفواكه واللخالخ (٤) والمشام التى فيها اللفاح والبطيخ المستخرج ما فيهما المحشوة بالخام والحماحم (٥) اليانى المعمول بماء الورد والخلوق (٦) والكافور والشراب العتيق والزعفران الشعر . ورأى الفتح غلماناً قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام مجمرة فيها ند يسجره ويبخر به ، والبيت من داخله إزار فى إسفيداج مخرم خروماً صغاراً لا تبين يخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة إلى البيت . فلما عاد الفتح وشرح للمتوكل صورة ما شاهده كثر تعجبه منه وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته وكمال مروءته ، وانصرف من داره قبل أن يستتم يومه ، وادعى شيئاً وجده من الثبات بدنه وحقد عليه ذلك ، فنكبه بعد أيام يسيرة ، وأخذ من بختيشوع مالا كثيراً لا يقدر (نقل ذلك ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء ج١ ص١٤١) والخبر صورة من ترف ببغداد وسر من رأى فى عهد العباسيين ؛ ولكن ليس معنى هذا أن كل الشعب كان يعيش فى مثل ذلك الرفاه والسعادة .

وقبل أن نفرغ من حديث الخيش ننقل لك من معجم الأدباء القصة التالية وفى أبياتها تعرف أن المسلمين فى ذاك العهد كانوا يضربون الأمثال ببرودة قبة الخيش لأنها لمهدم عنوان البرودة . وقد استعار بعض الشعراء برودتها المائية للبرودة المنوية فى الألفاظ والتراكيب الشعرية . قال ياقوت الحموى فى أخبار عوف بن محلم الخزاعى المتوفى سنة ٢٢٠ هـ إنه كان صاحب أخبار ونوادر وله معرفة بأيام الناس ، وكان طاهر بن الحسين قد اختصه لمنادمته واختاره لمسامرته ، ومن بعده قربه عبد الله بن طاهر من نفسه ، وأنزله منزلته من أبيه . قال : وكان قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له (روح) وعرض على عوف شعره فمنعه من إنشاده عبد الله وقال : إن عبد الله رجل عالم فاضل لا ينفق عليه من الشعر إلا أحسنه . فقال له : قد حسدتنى ، وتوسل حتى أنشده عبد الله فاسترذله واستبرده ورده ، فبلغ ذلك عوفاً فقال :

أنشد فى (روح) مديحاً له ... فقلت شعراً قال لى فيش

(فيش : من فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده . وفايشه فاخره ، وفايش الرجل أكثر الوعيد فى القتال ثم لم يفعل) .

فصرت لما أن بدا منشداً ... كأننى فى قبة (الخيش)

وقلت زدنى وتفهمته ... والثلج فى الصيف من العيش

ولقد كان عوف هذا من أدباء القرن الثالث الهجرى .

***

ولقد صبر العربى على قسوة محيطه ولم يتضجر من عنف الحياة

---

(١) الأجانة إناء تغسل فيه الثياب والسيلان عصير التمر .

(٢) الكواء جمع كوة هى الخرق فى الحائط .

(٣) الطاقات جمع طاق وهو ما عطف فى الأبنية أى كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك .

(٤) لخه بالطيب طلاه به .

(٥) قال الفيروزبادى فى القاموس الحماحم الحبق البستانى العريض الورق ويسمى الحبق النبطى جيد للزكام مفتح لسدد الدماغ مقو للقلب .

(٦) الخلوق ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .

فيه بل خلق من سيئاته حسنات ؛ فكان صبره على شظف العيش في بلاده مصداق قول الدكتور أحمد أمين في كتابه (الأخلاق) في بحث الوطنية . « على أن حب الوطنية يكاد يكون طبيعياً في كل إنسان حتى لنرى بعض الحيوانات تحن إلى أوطانها كما تحن الطيور إلى أوكارها . ولقد ينشأ البدوي في بلد جدب ومكان قفر وهو مع ذلك يسعد بوطنه ويقنع به ويفضله على كل مصر » .

قال الجاحظ : « وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب ، فإذا وقع ببلاد أريف من بلاده ، وجناب أخصب من جنابه ، واستفاد غنى ، حن إلى وطنه ومستقره . وخير مثال لقول الجاحظ قصيدة مالك بن الريب يحن إلى بادية العرب وهو في جنان إيران ، وكان قد ذهب إليها مع الجيوش العربية التي سارت لفتحها فنها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادي الغضا أزجي القلوب النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه — وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا — مزار ولكن الغضا ما دنا ليا

وهذا هو السر في أنك ترى البلد تفشى فيه أنواع الحميات ، أو يكون مثاراً للبراكين من حين إلى حين أو عرضة لطغيان الماء أو عصف الرياح ثم لا يبرحه أهله ولا يعدلون به بلداً سواه . قيل لأعرابي كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله ؟ قال وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى !

لقد أطلنا الحديث عما قاله الأدب عن حرارة الصيف فلننهض العلم ليقف على المسرح ويحدثنا عن أثر حرارة الصيف في الجسم فنجمع بين الحسنيين . وما أجمل العاطفة والعقل إذا اجتمعا في صعيد واحد ! وإن الأدب والعلم زوجان ينتج من اقترانهما تمام المعرفة .

قال البروفسور (بويد) صاحب المؤلفات الغزيرة الفائدة في علم الباثولوجي وهو العلم الباحث من كيفية تهدم الجسم بالأمراض: إن ضربة الحر في أساسها شلل في الجهاز المنظم للحرارة ويسببه التعرض لحرارة شديدة . وإن درجة الحرارة التي توجب الإصابة بضربة الحر تتوقف على الرطوبة وتختلف باختلاف الأشخاص ؛ وإن تخليص الجسد من الحرارة الفائضة يتم بفعل قابلية الجلد للتعرق ؛ إذ أن الرشيح العرق يتبخر فيجذب الحرارة من الجلد الذي يتبخر منه فينتعش الإنسان . غير أن بعض الناس يقل عرقهم ، وإن درجة حرارة الجسم الطبيعية هي حوالى ٩٨٫٥ فهرنهايت؛ فإذا تشبع الجو ببخار الماء لحد الإشباع وارتفعت حرارته إلى التسعين فهرنهايت سبب ذلك أن ترتفع حرارة الجسم ارتفاعاً جامحاً لا ينضبط ولا يسيطر عليه جهاز تنظيم الحرارة فيه ؛ وعندما تتجاوز حرارة الجو حرارة جسم الإنسان تتوقف عملية تخليص البدن من حرارته الفائضة الداخلية — بواسطة الإشعاع ؛ إذ أن تشع الحرارة إذا كان المحيط أزيد حرارة فيغدو عند ذاك — التعرق لتبريد الجسم بواسطته هو المعول الوحيد لإضاعة الحرارة المتراكمة فيه .

وقد يفرق الأطباء بين الإعياء وانهيار القوى المسببين بالحرارة الخارجية — وبين ضربة الحرارة . ولكن البرفسور (بويد) يرى من الصعب التفريق بينهما إذ هما مرحلتان لمرض واحد . ففي الانهيار المسبب عن الحرارة الخارجية يحصل إجهاد عنيف لماكنة تنظيم الحرارة في الجسم فيهجم عليه الضعف والاصفرار والذهول وهبوط ضغط الدم ، وإذ ذاك قد ترتفع درجة حرارته ؛ ولكنها قد تكون أقل من الطبيعي .

أما في ضربة الحرارة فإن جهاز تنظيم الحرارة يصبح مغلوباً على أمره فترتفع حرارة الجسم عشر درجات فهرنهايت أزيد من الطبيعي أو أكثر . وقد سجلت وقعة بلغت فيها حرارة الجسم الداخلي المريض (١١٧) فهرنهايت ، والطبيعية كما قدمنا هي (٩٨٫٥) فهرنهايت . وليكن معلوماً أن حرارة الجسم الداخلية الحقيقية التي تمثلها حرارة الشرج قد تكون أعلى بكثير من حرارة الفم وتحت الإبط . وهذه المواضع اعتاد الأطباء أن يضعوا فيها مقياس الحرارة .

وإن ضربة الحرارة قد تسبب بالتعرض المباشر للشمس الحالة المعروفة بضربة الشمس . ولا علاقة لأشعة الشمس الفوق البنفسجية بإحداث الضربة الشمسية ؛ إذ أن نفس الأثر المرضي يمكن إحداثه بالتعرض لأية حرارة زائدة وبخاصة إذا اجتمع إليها زيادة في الرطوبة النسبية ، وأن الأشخاص الذين يعملون في غرف المكائن الحارة والحدادين الذين يشتغلون بالقرب من الحرارة العالية يصابون بنفس الطريقة ، وإن حالة الشخص الفيزيائية تسبب بعض الاختلاف ، وإن المرضى المرشحين لعملية جراحية

خطيرة خلال فترة تمر فيها موجة حرارية على البلاد — قد يموتون بالضربة الحرارية. وقد أجريت تجارب مهمة على الحيوانات بتعريضها لضربات حرارية. وقد لوحظ أثر تغيرات الدم الكيماوية مما يطول شرحه. وقد يموت المريض من ضربة الحرارة بمباغتة مرعبة، وقد يسقط فاقداً شعوره وهى الحالة المعروفة بداء السكتة الحرارية. وهذه الحالة شائعة الوقوع فى الجنود الذين يجبرون على المسيرة المتعبة فى المناطق الاستوائية، وحتى فى الحالات الأقل مفاجأة قد يصبح المريض بسرعة فاقداً شعوره.

وفى الإعياء المسبب بالحرارة قد نجد الجلد رطباً، ولكن فى ضربة الحرارة من المعتاد أن نجده جافاً ومحرقاً بحرارته الشديدة، ويظهر عجز المريض عن التعرق. وقد ينتابه تهيج شديد حتى قد يبتلى بجنون حاد. وقد تصعد درجة الحرارة درجات عليا، ولكن ليس ذلك فى كل وقعة. وفى الأدوار الأخيرة تصبح الحرارة أقل من الطبيعية. وإذا استعاد المريض صحته وعوفى فقد يصاب بمعطل عصبى أو عقلى دائمين.

ويقول (كرن) فى كتابه Manual of Patbology أن تعريض كل الجسم لحرارة عالية خارجية خاصة إذا اجتمع إلى ذلك رطوبة الجو — ربما يؤدى إلى الإصابة بالضربة الحرارية وهو الأمر المشاهد فى وقادى الآلات البخارية العاملين فى غرف المكائن فى البواخر الماخرة فى المناطق الاستوائية. وفى فرق الجنود فى مسيراتها فى الأجواء الشديدة الحرارة أو إذا عسكرت فى تلك المناطق. ويحدث ذلك بصورة طفيفة فى السكان المدنيين الذين يقومون بأشغال ومساعى اعتيادية، ولكن فى جو رطب شديد الحرارة. وإن من العوامل المهيئة للاصابة بضربة الحرارة العمل الشاق والإفراط فى السكر والملابس الغير الصالحة. فى الحالات الشديدة يحصل تدهور وانحطاط فجائيان فى القوى وتضييع للشعور مع هذيان وتشنجات عضلية، وأخيراً إغماء. وقد ترتفع حرارة الجسم إلى درجات عالية فقد تبلغ (١٠٨) أو (١١٠) وهى نهايته ويقال أن المريض مصاب بحمى فوق المعتادة.

وفى الدرجات الأقل عنفاً قد يحصل انتهاك فى القوى وعسر فى النفس وازرقاق اختناق، بينما نجد فى الحالات الطفيفة — تعباً وصداعاً وحمى خفيفة، وإذا شرح جسم الميت بالإصابة الحرارية لا يوجد تغيرات مرضية ثابتة ما عدا الاحتقان الشديد فى الأعضاء الداخلية والأحشاء. وقد يرى تورم بالمائعات فى الدماغ وزيادة فى السائل الذى تحت الطبقة العنكبوتية فى أغشية الدماغ، ويرى فى حجيرات الدماغ التغيرات الخاصة المشاهدة فى الحمى العالية.

وإن تعريض الرأس والعلياء لأشعة الشمس المباشرة فى المناطق الاستوائية — قد قيل أنه يسبب مرضاً شديداً قد يكون مهلكاً يسمى بضربة الشمس.

والظاهر أن الإصابة تسببها الأمواج الحرارية؛ أما الأشعة الفوق البنفسجية فلم ينهض دليل علمى على تركها أثراً ضاراً فى المجموعة العصبية إذا جردناها من أمواج الحرارة التى تصحبها. وفى غالب الظن أنه لا يوجد مرض مستقل منفرد متميز من ضربة الحرارة يصح أن نطلق عليه اسماً خاصاً هو (ضربة الشمس)

أما سير الحوادث فيظهر كما يلى: إن الحرارة الخارجية عند ما تتجاوز حرارة البدن فإن إنماشه بالتعرق الذى يبرده عند ما يتبخر العرق — يكون العامل الوحيد والواسطة الفعالة لتنظيم درجة الحرارة. فإذا انهار هذا الجهاز وأصابه العجز فإن الحرارة سترتفع وتسبب الحمى العالية مع نتائجها المتلفة المسببة للهلاك.

ولا فرق فى إحداث ضربة الحرارة بين أن تكون ناتجة من سير الإنسان فى الشمس أو عمله فى غرفة وقاد السفينة أو فى غرفة شديدة الحرارة رديئة التهوية (تعددت الأسباب والمرض واحد) وبعد مدة ما من التعرض للحرارة نصل إلى حالة العجز من التخلص من الحرارة الداخلية الزائدة فيصاب بالعطل والعجز جهاز التعرق ويعترى القلب الوهن ويقع ارتفاع لا بد منه فى درجة الحرارة الجسمية. أما أثر القبعة الصيفية والمظلة وأشباههما فهو مجرد تقليل ما يأخذه الجسم من الحرارة الخارجية؛ أما تناول الثلج والماء المثلج ورش الماء البارد على الجسم والمراوح — فكل هذه وسائط لزيادة تضييع الحرارة من الجسم وتخليصه منها.

وبينما نجد عجز البدن عن التعرق يؤدى إلى ضربة الحرارة فإن التعرق الزائد الغزير يسبب فى عضلات الأطراف والبطن تشنجها واعتقالها الوقتيين، وهذا لا علاقة له بجهاز تنظيم الحرارة لكنه بسبب إضاعة ملح الكلوريد من الجسم بواسطة الرشيح العرقى مما يؤدى إلى اختلال فى توازن الصوديوم والبوتاسيوم فى البدن، ومن الممكن مداواة تلك التشنجات بسهولة بشرب ماء مالح بدلا من الماء العذب حتى يعوض الجسم ما فقده من ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) بالرشيح العرقى الزائد.

(بغداد) **ضياء الدخيلى**

الطبيب المتمرن فى المستشفى التعليمى (سابقاً)

رثاء الجـــارم

للأستاذ محمود غنيم

« ألقيت في حفلة التأبين التي أقامتها جماعة دار العلوم للمغفور له على الجارم بك »

عرش ينوح أسى على سلطانه … قد غاب كسرى الشعر عن إيوانه
طوت المنون من الفصاحة دولة … ما شادها هارون في بغدانه
في ذمة الفن المقدس عازف … لقى الحمام على صدى ألحانه
لما تهامست الصفوف بنعيه … كاد الفؤاد يكف من خفقانه
سالت حين قضى على فجاءة : … هل حل يوم الحشر قبل أوانه ؟

سقط المؤبن وهو يسمع شعره … من ذا يؤبنه بمثل بيانه ؟ !
وصف الزمان لنا وجاد بنفسه … لتكون برهاناً على حدثانه
قال احذروا غدر الحمام معززاً … بحياته ما قاله بلسانه
لا تعجبوا من موته في حفله … إن الشجاع يموت في ميدانه
بطل المنابر ما له من فوقها … يهوى وكم عرفت ثبات جنانه؟
إن خانه ضعف المشيب فطالما … قهر المنابر وهو في ريعانه
كلا لعمرى لم يخنه مشيبه … لكنّ حس المرء من خوّانه
لم يجنها إلا رقيق شعوره … والرهف الحساس من وجدانه
حر قضى متأثراً ببيانه … ولكم جنى فن على فنانه

يا شاعراً طار اسمه بقوادم … من عبقريته ومن إتقانه
ما دان يوماً للصغار بصيته … أو دان للزلفى برفعة شانه
والمجد منه زائف وممحص … لا تخلطوا بلوره بجمانه
ما كل لماع يبرق ممطر … البرق غير الآل في لمعانه
عرش القوافي بعد موتك شاغر … يا طول ما يلقاه من أشجانه
قل للذى يهوى إليه بلحظه … هذا مجال لست من فرسانه
لأمَّ حكمك في الورى جارٍ وما … من حيلة للعبد في جريانه
الطير ملء الروض أشكالا فما … للسهم لا يصمى سوى كروانه ؟
يمضى العظيم من الرجال فينبرى … لمكانه خلفاء من أقرانه
والشاعر الموهوب فلتة دهره … إن مات أعيا الدهر سد مكانه

قل للرياض قضى على نحبه … ولطيرها الشادى على أفنانه
الشاعر الغرد المحلق في السما … بجناحه قد كف عن طيرانه
بكت اللآلئ بعده لا ألمًا … وتساءل الياقوت عن دهقانه
وتساءل التاريخ عمن شعره … كان السجل لحادثات زمانه
بكت الكنانة في على شاعراً … جعل اسمها كالنجم في دورانه
عف اللسان مؤدب الأوزان لم … يتلق وحى الشعر عن شيطانه
بل كان نفح الخلد أمتعنا به … حيناً وعاد به إلى رضوانه
للنيل شاد بشعره ما لم يشد … فرعون والهرمان من بنيانه
من كل بيت في السها شرفاته … تتلألأ الأضواء في أركانه
يعيى الفراعنة الشداد أساسه … ويحار ذو القرنين في جدرانه
شعر إذا غنى به لم يبق من … لم يروه كالبرق في سريانه
غنى الطروب به على قيثاره … وترنم المحزون في أحزانه
بهر المذارى حسنه فوددن لو … صيغت قلائدهن من عقيانه
ويكاد سامعه يفسر لفظه … من قبل أن يسرى إلى آذانه
تغرى سلاسته الغرير فيقتفى … آثاره سيراً على قضبانه
حتى إذا هد المسير كيانه … حصب الورى بالصلد من صوانه
يا رب ديوان تأنق ربه … في طبعه وافتن في عنوانه
لا يسمع اليقظان وقع قريضه … حتى يدب النوم في أجفانه
والشعر إما خالد أو مدرج … من ليلة الميلاد في أكفانه

قالوا : على شاعر؛ فأجبت : بل … ساقٍ عصير الكرم ملء دنانه
فم سائل الفقهاء: هل في شرعهم … حرج على ثمل بخمرة حانه ؟
كم خط من صور الحياة مداده … ما لم يخط مصور بدهانه
بيراعة لو أدركت موسى رأى … من سحرها ما غاب عن ثعبانه
أين القصائد كالخرائد كلها … بكر ، وبكر الشعر غير عوانه
أحيا لنا ابن ربيعة تشبيبها … وأعاد للأذهان عهد حسانه
شيخ يحس الشيخ عند نسيبه … بدم الشباب يسيل في شريانه
وإذا تحمس قلت حيدرة انبرى … تحت المجاجة فوق ظهر حصانه
وإذا تبدى قلت لابس بردة … قد جاء من وادى العقيق وبانه
وإذا تحضر قلت نسمة روضة … من فرط رقته وفرط حنانه
يا طالما حمل الأثير نشيده … وكأنما هو عازف بكمانه
بغداد مصغية إلى أنغامه … ودمشق راقصة على عيدانه
وكأنما الحرمان عند هتافه … سمعا بلالاً هاتفاً بأذانه
يثنى على الفاروق تحسبه فتى … ذبيان قد أثنى على نعمانه
والملك يظهر بالثناء جلاله … والشعر مثل الدر في تيجانه

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أمر جديد في مسألة الكتب المدرسية :

أتيت فى الأسبوع الأسبق على موضوع الكتب المدرسية من حيث ما قررته وزارة المعارف فى فبراير الماضى من القيام بتوزيع هذه الكتب على طلبة المدارس الحرة كما توزعها على طلبة مدارسها وأبنت ما اكتنف ذلك وما يترتب عليه من آثار سيئة مادية وأدبية ، وأذكر اليوم أن ذلك القرار يتضمن أن تغير الوزارة العقود مع المؤلفين بحيث تصبح وحدها صاحبة الحق فى طبع الكتب وتعوض مؤلفيها عن كسبهم مما كانوا يطبعونه لغير مدارس الوزارة ، وذلك بمضاعفة مكافآتهم ، وينص القرار على أن ينفذ ذلك ابتداء من السنة الدراسية ١٩٥٠ — ١٩٥١ وبينما الناشرون والمؤلفون يواصلون مساعيهم للعدول عن ذلك فى ريث وتمهل لا يرون داعياً إلى العجلة لأن أمامهم موسماً دراسياً كاملا يستمر العمل فيه بالنظام القديم ويأملون أن يوفقوا فى خلاله إلى تسوية عادلة — بينما هم كذلك إذ فوجئوا بأمر لم يكن فى حسبانهم إذ اتصل بهم بعض مجالس المديريات فأبلغتهم أن مدارس هذه المجالس لن تحتاج إلى كتب منهم فى السنة الدراسية القادمة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ لأن وزارة المعارف ستتولى صرف الكتب لها

ذلك أن وكيل وزارة المعارف كتب إلى وزارة الداخلية لتوافى وزارة المعارف بإحصاء عن مدارسها وعدد طلبتها لتحسب الوزارة حسابها فى توزيع الكتب المدرسية عليها ابتداء من العام الدراسى القادم .

وعجب المؤلفون كيف تبادر الوزارة إلى اتخاذ هذه الخطوة ، وهى لم تجدد معهم العقود بعد، ولا تزال العقود القديمة بأيديهم ، وهى تخول لهم أن يطبعوا كتبهم لغير مدارس وزارة المعارف حتى تتغير هذه العقود . وغضبت دور النشر وانحسر ظل الطمأنينة عن عمالها ، فقد كان أمامهم سنة أخرى يرجى أن يعدل الله الأمور بعدها .

والشعر مرآة النفوس يذيع ما … طويت قرارتها على كتمانه
من أحرف سوداء إلا أنه … نقش ربك الطيف فى ألوانه
والشاعر الموهوب تقرأ شعره … فترى جمال الله فى أكوانه
يا ويح قومى كم أشاهد بينهم … من شاعر هو شاعر بهوانه

يا راثى الموتى ومخلد ذكرهم … بالخالد السيار من أوزانه
أرثيك حفظاً للجميل وإنه … دين أعيذ النفس من نكرانه
ما ذا يؤمل شاعر من راحل ؟ … أتراه يطمع منه فى إحسانه ؟
وأنا الذى ما سمت شعرى ذلة … أو بعته بالبخس من أثمانه
يا رب بيت قد ضننت ببذله … ضناً على من ليس من سكانه
أقسمت ما جاوزت فيك عقيدتى … قسم الأمين البر فى أيمانه
دار العلوم بنتك حصناً شامخاً … للضاد تلق الأمن فى أحضانه
رزئت لعمرى فيك رزء الدوح فى … كروانه والفلك فى ربانه
دار قد انتظمت أياديها الحمى … أشياخه والنشء من ولدانه
دار العلوم ونيل مصر كلاهما … بنميره يروى صدى ظمآنه
فاضا على الوادى فكان العلم من … فيضانها والماء من فيضانه

يا خادم الفصحى وكم من خادم … تعتز سادات بلثم بنانه
أفنيت عمرك ذائداً عن حوضها … ذود الكريم الحر عن أوطانه
أنصفتها من معشر مستعجم … الغرب أصبح آخذاً بعنانه
والضاد حسب الضاد فخراً أنها … كانت لسان الله فى فرقانه
هى سؤدد العربى يوم فخاره … وقوام نهضته وسر كيانه
من ذاد عنها ذاد عن أحسابه … بل عن عقيدته وعن إيمانه
نم يا على جوار ربك آمناً … لك عنده ما شئت من غفرانه.
لك عند رب العرش أجر مجاهد … متنعم برحمته وعدن جنانه
كم من شهيد مات فوق فراشه … بعد الدم السيال فى جثمانه
إن المجاهد من أغار بفكره … لا من أغار بسيفه وسنانه
سيظل شعرك يا على مردداً … ما غرد القمرى فى بستانه
أقسمت ما نال البلى من شاعر … يحيا حياة الخلد فى ديوانه

محمود غنيم

والمؤلفون من رجال العلم والتعليم في الوزارة ، فكانوا عند ما يحمل بهم إذ هددوا رجال الطبع والنشر وأشاروا عليهم بما تقتضيه الحكمة في معالجة الأمور ، وتولوا هم مواجهة الحال فتقدموا إلى معالي الأستاذ على أيوب وزير المعارف بشكاياتهم وتفنيدهم لما حدث وبيان حقهم في الموضوع ، ولا يزال الأمر بين يدى معاليه .

وإذا جاوزنا المؤلفين والناشرين وجدنا في الأمر ما هو أخطر مما يتصل بهم ، ذلك أن مدارس مجالس المديريات قد قد قطعت صلتها ومعاملتها لدور النشر اتكالا على وزارة المعارف ، فهل ستوزع الوزارة على تلاميذ هذه المدارس الكتب في العام القادم ؟ يقف في سبيل ذلك نص القرار على البدء بتنفيذه من سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، كما يقف في سبيله أيضاً عدم تجديد عقود المؤلفين ، ومن الجائز عقلا ألا يوافقوا على التجديد فتعهد الوزارة إلى آخرين يؤلفون من جديد ، ومع الإغضاء عن كل ذلك فإن سير العمل بالمطبعة الأميرية لا يكفل الطبع في الشهور القليلة التي يعقبها بدء الدراسة على فرض أن يبدأ الآن في الطبع .

فما ذا يا ترى تصنع مجالس المديريات في العام الدراسي القادم ؟ وهل يبقى طلابها من غير كتب ؟

تأبين الجارم :

أقامت جماعة دار العلوم حفلا لتأبين الشاعر الكبير المغفور له على الجارم بك ، يوم الخميس الماضي بمسرح حديقة الأزبكية ، وقد افتتح الحفل الأستاذ محمد اللبان رئيس الجماعة بكلمة ألم فيها بصور من حياة الفقيد كان لها تأثير في شاعريته وتكوين شخصيته الأدبية .

وتوالى بعده الخطباء والشعراء ، فتحدث الأساتذة مصطفى أمين بك ومحمد على مصطفى والسباعى بيومى ، وألقى الأساتذة محمود غنيم وعلى عبد العظيم ومحمود حسن اسماعيل ، قصائدهم في رثاء الجارم .

وأول ما يلاحظ على الكلمات التي ألقيت أنها لم تكن ذات موضوعات موزعة ، أعنى أنه لم يختص كل واحد من المتكلمين بناحية معينة من نواحي الفقيد المؤبن ، فنشأ من ذلك أن كلا منهم كان يطرق ما طرق الآخر . وما نوافقوا عليه وكرروه ، نشأة الجارم في مدينة رشيد في أسرة ذات علم وأدب ، وما كان للبيئة

كشكول الأسبوع

□ قرر معالى وزير المعارف توزيع الجزء الأول من « وحى الرسالة » على مكتبات المدارس الثانوية وما في مستواها على أن تزود كل مكتبة بخمس نسخ منه ، وذلك لأن الوقت ليس فيه متسع هذا العام لتقرير توزيعه على الطلبة . ومما يذكر أن هذا القرار بنى على الرغبة في توسيع مدارك التلاميذ والتلميذات ومنحهم ذخيرة من التعبير الجميل ونماذج من الأدب الرفيع ، وهى الأسباب التي من أجلها لم تر تقريره اللجنة التي أشرنا من قبل إلى مسلكها في اختيار الكتب .

□ حضر معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف حفلة تأبين الجارم ، وقد توجه الأستاذ السباعى بيومي إلى معاليه باقتراح إنشاء كرسى للأدب الحديث باسم الجارم في كلية دار العلوم ككرسى شوقى في كلية الآداب .

□ تقرر تأجيل انعقاد المؤتمر الثقافى العربى الثانى إلى صيف السنة القادمة ١٩٥٠ ، وكان الاتجاه أن يعقد في أغسطس القادم ، ولكنه أجل لعدم الاستعداد الكافى في هذا العام . وستجتمع اللجنة الثقافية بالأسكندرية في أغسطس المقبل لوضع مناهج المؤتمر وبرامجه .

□ يعمل الدكتور زكى مبارك في تصحيح الجزء الثالث عشر من « الأغانى » بدار الكتب ، وقد كتب في شرح كلمة « قدر » أنها تؤنث بالتاء في العامية ، وأتى بشاهد على ذلك قولهم : (يا واد يا عترة يا سمن في القدرة) .

□ كتب الدكتور بشر فارس مقالا عن « الموسم الأجنبي للأوبرا » بجريدة « المصرى » يوم الأحد الماضي ، قال فيه : إن في المسرحيات التي مثلت بالأوبرا في الموسم الماضى فناً تمجه أذواقنا الشرقية ، وضرب مثلا مسرحية « الأهل القططين » قائلا إنها أثارت حين ظهورها في باريس قبل الحرب اشمئزاز أعضاء المجلس البلدى هنالك إذ رأوا فيها دعارة وزنى وحضا للنظارة عليهما .

□ تلقت وزارة الخارجية من سعادة علوبة باشا سفير مصر في الباكستان ، رسالة ذكر فيها رغبة الباكستانيين في اتخاذ اللغة العربية لغة للتعليم والثقافة في بلادهم بدلا من الإنجليزية ، وأنهم يتجهون إلى مصر لكي تساعدهم على تحقيق هذه الغاية ؛ واقترح سعادته أن تنشىء الحكومة المصرية ثلاثة معاهد لتعليم اللغة العربية في أهم الحواضر الباكستانية ، على أن ينتدب للتدريس فيها مدرسون مصريون ، وأن تساهم حكومة الباكستان في نفقات هذه المعاهد .

□ أقدم في هذا الأسبوع شخصية عصامية في الأدب ، وهو الأديب عبد الرازق مرزوق العامل في مطبعة السكك الحديدية ، وهو شاب مكافح لم يتح له أن يتلقى أية ثقافة مدرسية ، فعلم نفسه بنفسه وأغرم بالقراءة والاطلاع . وقد تقدم ببعض كتبها إلى المسابقات الأدبية ، ففاز في عشر من مسابقات وزارة المعارف والإذاعة وبعض المجلات الأسبوعية .

الساحرة والأسرة الفاضلة فى إذكاء شاعريته ، وذكرياتهم مع الفقيد فى دار العلوم وفى إنجلترا ، وغير ذلك . ولم يكن لأحد من المتحدثين موضوع خاص بعد كلمة الأستاذ سعد اللبان التى اقتضاها مقام الافتتاح ، سوى الأستاذ السباعى بيومى فقد تناول بالدراسة موضوع « الجارم الأديب » فتتبع مناحى شعره وأرجعها إلى منبعين فى نفسه هما حبه للجمال وإيمانه بالوفاء ، وطاف بأجزاء ديوانه الأربعة فأورد منها أمثلة لما قرر ، فوفى الموضوع حقه ، ودل حديثه على اقتدار الدارس وذوق الأديب .

وكان حظ التأبين من الشعر أقيم من النثر ، فقد كانت القصائد جيدة ، ولا سيما قصيدتا الأستاذين غنيم ومحمود اسماعيل وقد خرج محمود شيئاً مما اعتاده من الإبهام وإكراه الاستعارة ، وأجاد فى تصوير وفاة الشاعر وهو يسمع قصيدته تلقى فى تأبين المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وأحسن فى استطراده إلى الحديث عن النقراشى باشا ومصرعه وفجيعة البلاد فيه .

ويظهر أن ترتيب الخطباء والشعراء كان وفق « أقدمية التخرج » فقد ران على الحفل بعد كلمة الافتتاح ، وهن الكبر ، فبعث شيئاً من الجمود ، لم يلبث أن ذهب عنا اتقد بعده من جذوات كانت أخراها قصيدة محمود حسن اسماعيل ...

تأبين الريحانى :

وأقامت نقابة الصحفيين حفل تأبين لفقيد الفن المرحوم الأستاذ نجيب الريحانى يوم الجمعة الماضى . وقد تكلم فى هذا الحفل الأستاذ حافظ محمود عن نقابة الصحفيين ، والأستاذ أنور أحمد عن وزارة الشؤون الاجتماعية ، والدكتور محمد صلاح الدين بك رئيس اللجنة العليا للتمثيل المسرحى والموسيقى والسينما ، والأستاذ يوسف وهبى بك نقيب الممثلين ، والأستاذ بديع خيرى باسم أسرة الفقيد ؛ فألقى كل منهم كلمة مناسبة للصفة التى تقدم بها ، وعزف الأستاذ سامى الشوا على الكمان قطعة حزينة موضوعها « نجيب الريحانى » .

والذى يستوجب الوقوف عنده فى هذه الحفلة ، كلمة الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ، وقصيدة الأستاذ على محمود طه . أما الأستاذ المازنى فقد حلل شخصية الريحانى الفنية وفكاهته المسرحية تحليلا قيماً بارعاً ، قال فيه : ما ذكرت الريحانى أو ذكر اسمه إلا تذكرت صوته الأجش الخشن الذى كنت أشعر أنه خارج من أعماق صدره ، وأنا عاجز عن الفصل بين نجيب وصوته حتى لقد كان صوته يغنينى عن رؤية تمثيله فأغمض عينى أو أطرق . وقال إن الريحانى لم يكن يشعر أنه يظهر على المسرح ليؤدى دوراً فى رواية ثم يخرج ليستأنف حياة أخرى لا علاقة لها بالمسرح ، وإنما كان يشعر أن هذه الرواية هى الحياة الحقيقية وأنه لا يمثل بل يحيا ، وأنه إنما كان يمثل حين يترك المسرح ويخرج إلى هذه الحياة . وبين الأستاذ قيمة الفكاهة فى التمثيل وقال إن الريحانى سما بها إلى مرتبة التوجيه الاجتماعى . ولم تخل كلمة المازنى مع قيمتها مما دعا إلى الملل فى الحفلة ، وذلك عندما أطال فى علاقة الريحانى ببديع خيرى واشتراكهما فى التأليف وأيهما كان صاحب الفضل الأكبر فى جودة التأليف وحبكه وسلاسة الحوار والبراعة فيه .

وأما قصيدة الأستاذ على محمود طه فقد صور فيها نجيب الريحانى وفنه تصويراً شعرياً دقيقاً تكاد ترى فيه معالم السمات وجمال الألوان ، وقد عبر فيها عن فجيعة مصر فى فقيدها تعبير الشاعر الناطق بلسانها المعبر عن آلامها ، فكان « شاعر مصر » النابض بآمالها وآلامها ، رثى فقيد مصر فى فن التمثيل .

مجلة المجمع اللغوى :

قال محدثى : كنت قد قرأت منذ شهور أن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أصدر الجزء الخامس من مجلته . وأخيراً أردت أن أحصل على نسخة منها ، فجعلت أبحث وأسأل عن طريقة الحصول عليها ، حتى علمت أنها تباع فى إدارة التوريدات بوزارة المعارف . وقصدت إلى هذه الإدارة وصعدت إلى طبقة عالية هناك حتى بلغت الموظف المختص متعباً متتابع الأنفاس ، فقد كان اليوم حاراً والسلم طويلا . وطلبت المجلة ، وطلب منى الثمن ، فأخرجت ورقة بجنيه ، فقال لى الموظف : (مفيش فكة) ولم أجد بداً من أن أنزل وأخرج إلى الشارع لأفك الجنيه . ثم عدت وتجشمت الصعود للمرة الثانية ، ولكنى فى هذه المرة لم أجد الموظف المختص فانتظرت ، وضقت ذرعاً بالانتظار ولم يتسع وقتى له ، فانصرفت

ثم عدت فى اليوم التالى وقد عزمت على إعداد الثمن (فكة) وكنت قد دعوت الله فى طريق أن ييسر لى أمرى هذا اليوم فاستجاب دعائى وظفرت بالمجلة ،

عجبت لجلد محدثى هذا وصبره فى سبيل الحصول على مجلة المجمع اللغوى ، وقلت فى نفسى : كم واحداً يطلبها هكذا ويتعب فى طلبها كما تعب صاحبنا ؟ ما أظن أمثاله كثيرين إن كان له أمثال .

إن الباعة ينادون على الصحف والمجلات فى كل مكان ، ويلوحون بها فى الوجوه ، ويلاحقون بها ركاب الترام وغيرهم ، وقد يعرضون ما على غلاف بعض المجلات من صور جذابة — يأتون كل ذلك كى يغروا الناس بالشراء ، ومع ذلك قد لا يفلحون فى إغرائهم .. فما بالك بمجلة المجمع اللغوى وهى مستقرة فى مخازن (التوريدات) بوزارة المعارف قيد (الروتين) ؟

وإذا كان من غير المستطاع الخروج عن هذا (الروتين) فلم يتكلف المجمع إصدار هذه المجلة ؟ أليس الغرض منها أن تنشر على الجمهور أعماله وما وضعه من مصطلحات وما أقره من كلمات ؟ فإذا كانت المجلة لا تنشر فما الفرق بينها وبين محاضر جلسات المجمع وأضابيره ؟

هلا نظر مجمعنا فى هذا الموضوع ، لعله يصل إلى طريقة تكفل توزيع مجلته أو على الأقل تيسير الحصول عليها لطلابها .

رأيى فى كتاب :

رأيت ما كتبه مؤلف « الشعر المعاصر » فى العدد الماضى من الرسالة ، واسترعى التفاتى فيه استشهاده على قيمة كتابه بما اقتطعه من كلمة كنت كتبتها عنه ، فقد رأيته يقطع أوصال تلك الكلمة ويأخذ منها ويدع .. أخذ قولى إن الكتاب يستوقف نظر متتبع الحركة الأدبية وإنه لبنة فى الأدب الحديث ، وترك الباقى وفيه قلت مترفقاً : « ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجاح فى ميزانه بما لاحظته فى الكتاب مبهما ، ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفى بهذه الإشارة لأن المقام لا يسمع بالتفصيل والتمثيل » ومن هذا وذاك يتكون رأيى فى هذا الكتاب وأوضح هذا الرأى ، أقول : إننى أعنى بقيمة الكتاب فى المكتبة العربية ما نقله المؤلف من آراء النقاد الغربيين ومذاهبهم فى النقد . أما ناحية التطبيق من حيث تعرضه لشعر الشعراء — وهى الناحية التى تختبر فيها الأصالة الأدبية — فقد امتلأ الكتاب فيها بالخبط فى الحكم على الشعر وإنزال الشعراء فى غير منازلهم صعوداً وهبوطاً ، وهذا ما عنيته بالتطفيف والإرجاح .

أما أن الرسالة « ازدانت » — لفظ المؤلف — بما كتبته عن كتابه ، ففيه نظر ...

تصويب :

وقع فى العدد الماضى تحريف مطبعى فى أول موضوع « نحن وأدباء المهجر » إذ جاء هكذا : « كتب الأستاذ حبيب كتاباً من نيويورك » وصوابه : « كتب الأستاذ (حبيب كاتبه) من نيويورك » .

وحدث كذلك سقط فى موضوع « قضية عيسى بن هشام والإذاعة » إذ جاء فى فقرة منه « خليل بك الويلحى مؤلف كتاب حديث عيسى بن هشام » وصوابه : « خليل بك الويلحى شقيق محمد بك الويلحى مؤلف ... الخ »

عباس خضر

الكتب

اليــــوم خمر

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

ما يبرح الأستاذ تيمور يحبو صحابه بكرمه ، فهو لا ينسى — أبداً — وشائج الصداقة الأدبية ، ولا يغفل أواصر المحبة الروحية ، ولا ينفى عن روابط الإخاء والود ، فهو — دائماً — يخصهم ، أول ما يخص ، بمؤلفاته وكتبه ، ولقد أهدى إلى — أخيراً — مسرحيتين هما « المخبأ رقم ١٣ » و « اليوم خمر » .

وإنه ليعز عليّ أن أتحدث عن « اليوم خمر » قبل أن أقف حيناً بإزاء مسرحيته « المخبأ رقم ١٣ » فلقد ألفيت فيها روحاً وثابة متألقة وفناً عالياً رقراقاً وجمالاً في السبك وقوة في الأداء وسمواً في التصوير . ووجدته قد جمع فيها أخلاطاً من الناس اختلفت مشاربهم وتنافرت بيئاتهم وتضاربت ثقافتهم ، ثم أنطقهم بحديث يكشف عن خلجات نفوسهم وخواطر عقولهم ، فجاء الحديث قوياً لم يصبه الفتور ولا الضعف ولم يشبه الإخفاق ولا الوهن . وإنك لتعجب أشد العجب أن يتقمص المؤلف روح الرجل الارستقراطي المهذب وروح السوقي الوضيع في وقت معاً فلا يخطئه التوفيق في التعبير عن نوازع نفسيهما ولا يفلت من بين يديه زمام التحليل السيكولوجي . ولا يسف في حادثة ولا يتصنع الحديث ولا يتكلف الحبكة الفنية ... هذه — ولا شك — هي عبقرية الفنان ونبوغ القاص وتجربة المجرب ...

***

أما مسرحية « اليوم خمر » فهي قصة حياة امرىء القيس الشاعر العربي الجاهلي المعروف من لدن كان فتى غض الإهاب في العشرين من عمره إلى أن خذله قيصر الروم فأحس خيبة المسعى وضياع الأمل . وإن القارىء ليعجب أن وفق المؤلف توفيقاً عجيباً حين التزم أسلوب البداوة في قوة التعبير وجزالة اللفظ ورصانة الأداء ليخرج لنا من حياة الشاعر تمثيلية فيها روح هذا العصر ، وإنه ليحس — مع ذلك — بأشخاص الرواية ينبضون بالحياة ويخفقون بالإنسانية مما يدل على سمو الفن في روح المؤلف وسلامة ذوقه . ولا عجب أن يستنبط الأستاذ تيمور — وهو فنان عظيم — مسرحية مسلسلة مترابطة الأوصال متماسكة الجوانب ، يستلها من حوادث التاريخ المضطربة المتداعية ، فهذا عمل لا يتأتى إلا لمثله ، وهو فتح عظيم في هذا المضمار الشائك .

وإن الحوار ليبلغ غاية القوة والإتقان في مواقف ثلاثة : في يوم دارة جلجل حين هبط امرؤ القيس على العذارى وهن يتردن في الغدير . وفي تصادم الشاعر مع أبيه وهما إلى جانب ذي الخلصة ، حين تصارعت قوتان : قوة الملك حجر الجبار القاسي وقوة الفتى البوهيمي الذي لا يؤمن بمقاييس الحياة المادية ولا يخضع إلا لشهوات عقله وجسمه . وفي موقف امرىء القيس من وفد بني أسد حين أقبلوا إليه يترضونه ويستغفرون لجرمهم أن ثار بعض صعاليكهم بأبيه الملك فقتلوه ...

ولقد أراد المؤلف فأبان عن كثير من خصال الشاعر : فهو رجل عربيد داعر لا يرده الحياء ولا يمسكه الخجل فيقف على غدير دارة جلجل موقفاً مشيناً فيضطر العذارى إلى أن يخرجن إليه عاريات ... وهو — في حادثة أخرى — يجلس إلى فاطمة ابنة عمه ينازلها ويغريها بأمر في الساعة التي علم فيها بمقتل أبيه حجر فترده فاطمة بقولها « أصبابة وهيام في مثل هذا المقام ؟ لقد أفقدتك الخمر رشدك وهاجت في نفسك شجوناً ليس هذا حينها » ولكنه يجيبها في استهتار وخفة « إن الحب يا فاطمة لا يضرب له وقت موعد ولا يستبين له حين ... أحبك ، يا فاطمة ، أحبك في كل آن ... ما ضرنا اليوم وقد زالت من طريقنا الموانع أن نحقق حلمنا القديم ، يا طالما حالوا بيننا وبين وصالنا . أما الآن فلا حائل يحول » . هذا — ولا ريب — كلام رجل لا يشعر بالعبء الذي يثقل كاهله ؛ فلا هو أحس الحزن لمقتل أبيه ولا هو ارعوى فاحترم مصيبة ابنة عمه في أبيها وفي أبيه في وقت معاً .

وهو رجل متلاف لا يبقى على شىء مثلما قال خادمه حنظلة .. « أخبرنى فديتك ، ماذا بقى لهذا الأمير من جاهه وثرائه ؟ إنه كما ترى لا يبقى على شىء . ولست أدرى إلى أين ينتهى به وبنا المساق ألم يتنكر له أبوه فيغدو شريداً طريداً ؟ »

وهو رجل خال من الفحولة ، فلقد غبر زماناً يدفعه الشوق إلى أقحوان الثانية ، حتى إذا ظفر بها وخلا إليها خانته رجولته فارتدت الفتاة عنه مغيظة يبدو عليها النفور لتقول لرفاقه : « إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها فى كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصى نجوم الليل » . هذا تعبير قوى عن خلة من خلال الشاعر يعرفها له التاريخ ولـكنه تعبير يترفع عن الإسفاف والضعة .

ولـكن القصة مثلت امرأ القيس فتى داعراً لم تغيره الحوادث ولا عركته السنون ولا أصابه الوهن يتراءى فى كهولته فتى فى الثلاثين غزلا يتشبب بالنساء ويفرغ للكأس ، عزباً يرنو إلى إلى فاطمة حيناً وإلى ابنة قيصر حيناً آخر .. غير أن التاريخ يقول إنه تزوج من أم جندب بعد أن تزوجت فاطمة من أبى عنيسة وإن قصة تحكيم أم جندب فيما شجر بين امرئ القيس وبين علقمة الفحل قصة يعرفها كل من قرأ تاريخ الأمير الشاعر .

***

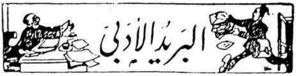
لست أنكر أن تاريخ العرب فى الجاهلية مضطرب اضطراباً كبيراً لا تجمعه آصرة ولا تربطه صلة ولا يدعمه سند ، ولـكن فيه حوادث ثابتة أجمع المؤرخون على صحتها . وما كان المؤلف أن يغفلها فى مسرحيته ، أو أن يضع شيئاً مكان شىء إلا أن تكون قد تضاربت الروايات .

وهكذا انضمت المسرحية على بعض المآخذ التاريخية منها : أن المؤلف جمع بين يوم دارة جلجل وبين حادثة عفو الملك حجر عن أسرى بنى أسد ... جمعهما فى قرن فى حين أن الحادثتين كانتا فى مكانين مختلفين ويفصلهما زمان طويل . ومنها أن المؤلف أقحم صمصاماً فى نهاية الفصل الرابع من المسرحية ليوحى إلى امرئ القيس بأن يطلب العون من قيصر الروم وليزين له الرحلة إلى القسطنطينية فى حين أن التاريخ يجزم بأن السموأل بن عاديا هو الذى مهد السبيل لامرئ القيس كى يبلغ بلاد الروم فى أمان ويستقر هناك فى هدوء ... ومنها ما جاء فى ختام القصة حين فر امرؤ القيس ورفاقه من القسطنطينية ، وهذه حادثة لم نعثر لها على أصل فى ما لدينا من مراجع إلا أن تكون قد حاكتها يد فنان بارع . وأنى لرجل من أعداء قيصر أن يفر من بين يدى جنده وحراسه وجواسيسه وهم يملأون أرجاء المدينة وشعابها ؟ أما التاريخ فإنه يقول إن قيصر كان يخشى سطوة الأمير الشاعر فأهدى إليه حلة مسمومة فلبسها فأصابته القروح وتناثر لحمه ومات فى أنقرة وهو فى طريقه إلى حرب كسرى على رأس كتيبة من جيش عرمرم .

***

هذه — ولا شك — هنات هينات لا تضع من قيمة الجهد العظيم الذى اضطلع به القصاص الكبير الأستاذ تيمور .

كامل محمود حبيب



أخي الأستاذ أنور المعداوي :

كثر الكلام حول مسرحية (الملك أوديب) لتوفيق الحكيم، فأرجو ألا أثقل عليكم بعودتي إلى طرق أبواب الموضوع نفسه من جديد . فقد لفت نظرى فى التعقيب الذى عقب به توفيق الحكيم على مقدمة الترجمة الفرنسية للمسرحية ما يلى :

١ – قال الحكيم إن الإسلام يرفض فكرة الله المدبر لأدى الإنسان تدبيراً سابقاً دون مقتض أو جريرة . وقد شاء الحكيم لهذا السبب أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام فجعل من رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة وبحثه المتصل عنها سبباً يدفع أوديب إلى الكارثة . أى أن الحكيم جعل الوجب للكارثة – كما يقول صراحة فى ص ٢٦٧ – طبيعة أوديب ذاتها ، طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة . وهو يقول : إن رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة هى التى جرته إلى ما جره العلم الحديث على الإنسان الحديث ممثلا فى (فرويد) عند ما طفق يحفر فى أعماق الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق فى الباطن لأمه . وقد استبدت بى الحيرة عند ما قرأت هذا التعليل .

فلست أدرى كيف استساغ كاتب فنان كتوفيق الحكيم أن يجعل من حب أوديب للحقيقة وسعيه وراءها إنما يستحق عليه ذلك العقاب المنكر الفظيع ، فإن حب الحقيقة والسعى وراءها – مطلقة كانت أو نسبية ، عامة كانت أو جزئية – لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذى بث شهرتهم فى الآفاق خلد ذكرهم فى أعماق الأفئدة والهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور .

ثم إننى لم أفهم كيف ارتضى الحكيم أن يشبه حالة أوديب أمام المأساة بحالة فرويد أمام حقائق النفس . فعند ما طفق فرويد يحفر فى أعماق الإنسان بحثاً عن الحقائق النفسية ووجد أنه عاشق فى الباطن لأمه لم يكون هذه الحقيقة ولم يخلقها أو يوجدها بنتيجة سعيه وراء الحقيقة وإنما اكتشفها وقررها .

فالحقيقة التى اكتشفها فرويد كانت موجودة ، ولكنها كانت مطمورة فى أغوار النفس الإنسانية . ولكن أوديب عند ما بدأ يبحث عن أصله وذويه لم تكن الكارثة أو الحقيقة موجودة ، وإنما حدثت فيما بعد على يده . ولو ادعى الحكيم أن الحقيقة التى واجهت أوديب كانت موجودة ومستقرة سلفاً فى ضمائر الآلهة ، فإن ذلك لا يغير من صاب الحقيقة بلأن وجود الحقيقة واستقرارها فى ضمائر الآلهة شىء وحدوثها فى عالم الحس والواقع شىء آخر . فالبحث عن الحقيقة قد أدى عند فرويد إلى اكتشاف الحقيقة فحسب ، والبحث عن الحقيقة أدى عند أوديب إلى وقوع الكارثة أو المأساة أو الحقيقة . وواضح أن الفرق بين الحالين أكبر وأوسع من أن يستسيغ أى تشبيه بينهما .

٢ – لاحظت أن الحكيم يقول فى الرد نفسه أن الطمن الذى أنزله أوديب بعينيه قد ذهب فى تفسيره أندريه جيد فى مسرحيته إلى كونه إمعاناً فى الكبرياء . والواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد لم يقل مثل هذا الكلام ولم يفكر فيه ؛ لأنه قال بصراحة عن لسان أوديب مخاطباً الكاهن تيرسياس بأنه – أى أوديب – إنما يفقأ عينيه لأنهما لم تحسنا تنبيهه إلى الكارثة قبل وقوعها ولم تضيئا له الطريق ، فهو إذ يطمن عينيه إنما يتلف أداة عاطلة لم تنفعه إن لم تخدعه فى نفس الوقت .

هذا ما وددت أن أعرضه عليكم آملاً أن أتلقى منكم الرأى المصيب الذى عودتمونا إياه فى أغلب الفرص والمناسبات . وختاماً أبعث إليكم وإلى صاحب الرسالة الجليل أطيب الود وأخلص التقدير

(بغداد) **فؤاد الوتراوى**
ليسانيه فى الحقوق

حول هام ومهم :

قرأت للأستاذ على هلالى تصويباً لاستعمال كلمتين لم يقل أحد بخطأ إحداها وصواب الأخرى وهما هام ومهم . ويعد أن استعان بلسان العرب والقاموس وغيرهما وحكم بأنهما لغتان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما فى الاستعمال قال : وإنى أحذر الكتاب

من النقود الزيفة في لغة الجرائد ، فدخل في روعى أن في لغة الجرائد تخطيء لإحدى الكلمتين فمدت إلى تلك النقود الزيفة عند الأستاذ فوجدت ما يأتى :

« ويقولون هذا أمر هام بصيغة الثلاثى لا يكادون يخرجون عنها فى الاستعمال والأفصح مهم بالرباعى » « وعليه اقتصر فى الصحاح والأساس » .

فعجبت مما فهم الأستاذ من هذا النص الصريح الذى دفعه إلى أن يتبرع بكلمة « مزيفة » .

رجل قد رأى الناس لا يستعملون إلا كلمة « هام » ويتحاشون استعمال كلمة « مهم » بل لعله قد رأى من تعرض لتخطئتها فدلنا على الأفصح والأفصح لا ينفى الفصيح ، افترميه بالزيف ؟!!

كنت أود أن يدقق الأستاذ « هلالى » فى تعابيره كما يدقق فى البحث عن بعض الكلمات فى المعجمات . يقول الأستاذ فى نهاية كلمته « على الكتاب أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع » فهل يثق الأستاذ بصحة هذه المعاجم ؟ ألم يطلع على ما فى هوامشها من الحواشى ؟ أو لم ير مآخذ الفيروزابادى على الجوهرى ؟ ولماذا ننتظر من المجمع اللغوى قاموساً صحيحاً شاملا جديداً ؟

ثم إن الأستاذ هلالى يخطيء من « يدعى » — على حد تعبيره — تأنيث كلمة الضبع فقط للحيوان المعروف ، فهلا أتى بشواهد على جواز تذكرها تمزز هذا التخطيء ؟

ابن ماضى

١ — التقليد :

أنكر أحد المدرسين استعمال التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد فى كتب اللغة ، وهذا ليس بصحيح فقد جاء فى لسان العرب وشرح القاموس ومعيار اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه :

قلدتها قلادة : جعلتها فى عنقها ، ومنه التقليد فى الدين ، وتقليد الولاة الأعمال وهو مجاز كأنه جعل قلادة فى عنقه الخ

وجاء فى كتاب التعريفات للجرجانى : التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة من غير نظر وتأمل فى الدليل كأن هذا المتبع (وهو المقلد) جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه ، أو التقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل اه

ومن هذه النصوص يظهر لك أن المعنى الأصلى للتقليد واحد فقط وهو وضع القلادة فى العنق ، ثم استعمل فى غيره على سبيل التجوز والتشبيه والاستعارة وقد ألفت كتب ووضعت بحوث فى التقليد ولم يطعن فيه أحد لأنه يرجع إلى معنى عربى صحيح .

٢ — المصيف :

من الأخطاء الشائعة مصْيَف بتسكين الصاد وفتح الياء والصواب : كسر الصاد لأنه اسم مكان من صاف يصيف كمصير من صار يصير ، وجمعه مصايف بالياء ، ولا تقل مصائف بالهمزة لأن الياء أصلية فى تركيب الكلمة (ص ى ف) فلا بد من ظهورها فى الجمع ولا تقلب همزة .

علي حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

إلى خنساء فلسطين الآنسة فدوى طوقان :

تحية التقدير وسلام الوفاء وبعد :

منذ زمن طويل بعد أن قامت الحرب فى الأرض المقدسة ونحن ننتظر منك حدثاً جديداً فى عالم الفن والأدب ولا سيما وقد سطرت فى عالم الخلود أروع ترانيم الحسرة واللوعة على أخيك المرحوم شاعر فلسطين إبراهيم طوقان .

وحوادث فلسطين الأخيرة قد تفتت لهولها صلد الصخر ونضب لها معين الضمير الحى ، إن كان فى الوجود ضمير حى ، وما أظنك يا أختاه إلا سكبت فى بوتقة الشعر والفن أعظم آلام الإنسانية المعذبة .

« والرسالة » مذ كانت وهى منبر الحق والفن والعلم والأدب وقد ترعرت بين أحضانها ، فهل لك يا خنساء الأندلس الجديدة أن تزفرى زفراتك من فوق منبرها الرفيع ؟

ذلك ما ترقب وننتظر .. فهلمى يا أختاه .

وللأديبة الموهوبة نجوى مقوار (فى فلسطين) أطيب تحياتى

فتى الأندلس
كلية اللغة العربية بالأزهر

رسالة النقد

نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٥ —

٣٣ — ص ٤٩ يقول ابن قتيبة : « وحدثني محمد بن خالد ابن خداش ، عن سالم بن قتيبة قال : حدثنا حمزة الزيات ... »

والصواب « .. عن سلم بن قتيبة ... » وهو سلم بن قتيبة الشعيري — بفتح المعجمة وكسر العين — أبو قتيبة الخراساني نزيل البصرة . قال ابن أبي عاصم : مات سنة مائتين كما في خلاصة تذهيب الكمال ١٢٤.

وأما حمزة الزيات : فهو كما قال ابن قتيبة في المعارف ص ٢٣٠ « حمزة بن حبيب بن عمارة ويكنى أبا عمارة ، مولى لآل عكرمة ابن ربعي التيمي مات بحلوان سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر » .

٣٤ — ص ٥٠ « وكذلك قال الأشج لبنيه : لا تشربوا ولا تنجروا ، ولا تعاقروا فتسكروا »

والصواب . « لا تبسروا ولا تنجروا .. » جاء في لسان العرب « البسر هو خلط البسر بالرطب أو بالتمر وانتباذهما جميعاً . والنجر : أن يؤخذ نجير البسر فيلقى مع التمر ، والنجير : ثفل البسر » والحديث بتمامه في الفائق للزمخشري مادة بسر راجع ترجمة الأشج في الاصابة وابن سعد ٧ / ٦٠ وأسد الغابة ١ / ٩٦ وقد روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأشج قال :

رغبة واستجابة :

وعدت القراء في عدد « الرسالة » الماضي بأن أعقب على الكلمة التي نشرت في « البريد الأدبي » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، ولقد كنت أود أن أفي بهذا الوعد لولا رغبة كريمة من صديقين عزيزين بأن أكف يدي وأقبض قلمي ، تحقيقاً لغاية نبيلة هي إعادة الصفاء إلى النفوس ...

وأنا لا يسعني إلا الاستجابة لرغبة الصديقين العزيزين ، وهما الأستاذان إبراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي .

فإلى القراء أعتذر ، راجياً أن يتقبلوا الاعتذار على ضوء أسبابه ودواعيه ... وللأستاذين الصديقين أستجيب ، آملا أن أكون عند حسن الظن من الراغبين في الخير والداعين إلى الصفاء .

أنور المعداوي

الاتساع في اللغة :

إن الجدى على محبي العربية في التنوية بالثروة اللغوية التي ترمز إلى مدى الاتساع في دلالات الألفاظ المشتركة في إفادة المعنى الفذ، ولقد حررنا منذ سنوات بالأهرام الغراء ٢٩/١٠/١٩٣٨ كلمات : « الذعر ، والرعب ، والفزع ، والخوف . » ، وأوضحنا مدى ما في هذه الكلمات من تلاق في الدلالة وتباعد في الصياغة ؛ ونحب أن نورد بالرسالة الزهراء ما وقع لنا من ألفاظ تدل على السعة ، وتعطي الراغبين في البحث نهزة للايناس بما يوضح جلال هذه اللغة .

(ا) جاء الفعل الدال على « الرأفة » — وهي أشد الرحمة — بثلاث صيغ (رؤف) به و (رأف) به و (رئف) به .

(ب) يقال : رجع الشيء بنفسه و (رجعه) غيره : متعد ولازم من الثلاثي .

(حـ) يقال في مقام الرجاء . ترجاه ، وارتجاه . بمعنى واحد .

(د) يقال في التنقل : رحل ، وارتحل ، وترحل .

(هـ) مصدر حدث : المحادثة ، والتحادث ، والتحدث والتحديث .

(و) يقال : أضاءت النار ، وأضاءت النار المكان . يتعدى ويلزم .

(ز) يجري على الألسنة (تشكر له) وهو صواب (كشكر له)

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله ، قلت : وما هما ؟ قال : الحلم والحياء ، قلت : وقديماً كانا فىّ أو حديثاً ؟ قال : بل قديماً ، قلت : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله .

٣٥ — ص ٥٢ « ... وقال أبو الغالية الرياحى : اشرب النبيذ ولا تعزز ، والتعزز أن يشرب قليلاً قليلا » .

والصواب : « أبو العالية » بالعين لا بالغين ، واسمه رُفيع بن مهران الرياحى البصرى ، وهو من الأئمة المخضرمين ، صلى خلف عمر ، ودخل على أبى بكر . وتوفى فى شوال سنة تسعين ، وكان ثقة كثير الحديث . وهو من موالى بنى رياح . اشترته امرأة منهم ، ثم انطلقت به إلى المسجد الجامع بالبصرة فى يوم جمعة والإمام على المنبر ، فقبضت على يده وقالت : اللهم أذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف . وقد حدث أبو العالية من نفسه قال : كنت مملوكا أخدم أهلى فتعلمت القرآن ظاهراً والكتابة العربية وقرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين ، فقد أنعم الله على بنعمتين لا أدرى أيتهما أفضل : أن هدانى للإسلام أم لم يجعلنى حرورياً ، ثم يقول : وكنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . ويقول : لما كان زمن على ومعاوية وإنى لشاب ألقتال أحبّ إلىّ من الطعام الطيب ، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم فإذا صفان لا يرى طرفاهما ، إذا كبّر هؤلاء كبّر هؤلاء ، وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء ، فراجعت نفسى فقلت : أى الفريقين أنزله كافراً ؟ وأى الفريقين أنزله مؤمناً ؟ أو من أكرهنى على هذا ؟ فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم . وكان ابن عباس أيام إمارته بالبصرة يكرمه ويجلسه معه على سريره . وكان أبو العالية يبعث بصدقة ماله إلى المدينة فتدفع إلى أهل النبى فيضعونها فى مواضعها . ومن كلامه : إذا سمعت الرجل يقول : إنى أحب فى الله وأبغض فى الله فلا تقتدوا به . راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب وميزان الاعتدال ١ / ٣٤٠ وطبقات ابن سعد ٧ / ٨١ — ٨٥ وحلية الأولياء ٢ / ٢١٧ — ٢٢٤ وصفة الصفوة ٣ / ١٣٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٠

٣٦ — ص ٥٢ « وقيل لمحمد بن واسع : أتشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، قيل : وكيف تشربه ؟ قال : على غدائى وعشائى وعند ظمإى . قيل فما تركت منه ؟ قال : النكات ومحادثة الرجال »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « النكات : جمع نكتة وهى هنا الجملة المنقحة المحذوفة الفضول »

ولست أرى رأيه فى هذه الكلمة وهى عندى محرفة بيد أنى لم أدرك وجه تصويبها . ويرى صديقى الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر أن صوابها « التكأة » يريد بها الجلوس المطمئن وإدارة الأقداح . ويستدل بما رواه المؤلف فى صفحة ٦٠ من قول جميل ابن معمر :

فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله

ومحمد بن واسع قائل هذه الكلمة فيما يقال من كبار الزهاد العابدين الورعين توفى فى سنة عشرين ومائة . راجع ترجمته فى صفة الصفوة ٣/١٩٠ — ١٩٥ والمعارف ٢٠٩ .

٣٧ — ص ٥٣ « وقيل لسعيد بن سالم : أتشرب النبيذ ؟ قال لا . قيل : ولم ؟ قال : تركت كثيره لله ، وقليله للناس »

والصواب : « وقيل لسعيد بن سلم » كما فى عيون الأخبار ٤/٣٧ وقد مدحه أعرابى فقال :

أيا سارياً بالليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جواد حثا فى وجه كل جواد

فلم يعطه شيئاً فقال :

لكل أخى مدح ثواب يعده وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب

وسعيد بن سلم هو القائل : إذا لم تكن المحدّث أو المحدّث فانهض وراجع . وقد هجاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، ورثاه عبد الصمد بن المعذل بأبيات جيدة تجدها فى الكامل للمبرد مع شىء من أخباره فى ص ٧١٢ — ٧١٨ من طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر .

٣٨ — ص ٥٨ « ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالى للأنبياء والأمم قبلنا ، فقد شربها نوح عليه السلام حين

خرج من السفينة واعترس الحبلة حتى سكر منها ».

وجد الأستاذ هذه الكلمة بهذا الرسم فلم يفهم معناها ولم يفطن إلى وجه الصواب فيها ، وعلق على الجملة بقوله : « كذا فى الأصل ، والحبلة : العنب ، وفى الحديث : لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة . الحبلة : بفتح الحاء والباء وربما سكنت ».

والصواب « واعترس الحبلة » بمعنى غرس ، وكذلك رويت جاء فى لسان العرب « وفى الحديث لما خرج نوح من السفينة غرس الحبلة ».

٣٩ — ص ٥٨ فى الحديث عن الخمر والنبيذ « واما قولهم الخمر ما خمر ، والسكر مخمر فهو خمر مثله ... »

والصواب « والنبيذ مخمر فهو خمر مثلها » كما فى العقد الفريد ٣٣٦/٤

٤٠ — ص ٥٩ « ولو كان الله تعالى حين أحل النبيذ أحل منه السكر الذى يكون منه الخمار وكان شربة النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فأصابهم ذلك ، للزمنا أن يقال : نباذ ولا يقال فيجب ما ذهبوا إليه » وعلق الأستاذ على « ولا يقال » بقوله : وفى الأصل أو ، وما أثبتناه رواية ع »

والصواب : « للزمنا أن يقال نباذ ولا يقال : خمار فيجب ما ذهبوا إليه ».

٤١ ص ٦٢ فى شعر بعض الأشراف :

تلم بنا الخصاصة ثم تدنى على إقتارنا حسب ودين

والصواب : « ثم يدنى »

٤٢ ص ٦٢ وقال يحيى بن نوفل اليمانى :

وينتبقان الشراب الذى يحل به الجلد للجالد

شراب يوافق فهر اليهود ويكره للمسلم العابد

وقد ضبط الأستاذ كلمة « فهر » بكسر الفاء ، والصواب ضمها كما فى لسان العرب ، وجاء فى القاموس : « وفهر بالضم مدارس اليهود تجتمع إليه فى عيدهم ، أو هو يوم يأكلون فيه ويشربون »

٤٣ — ص ٧٠ « وقال الأعشى :

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا وثمان عشر واثنتين وأربعا

من قهوة باتت ببابل صفوة تدع الفتى ملكا يميل مصرعا

والصواب : « وثمان عشرة ... »

٤٤ — ص ٧٥ « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البر ما سكنت إليه القلوب ، واطمأنت إليه النفوس ، والأثم ماحاك فى صدرك فكرهت أن تطلع عليه الناس. وقال ابن مسعود : الاثم جواز القلوب ، وهى الموادج فيها بالشكوك ، فإذا كان الاثم يكون بما قدح فى القلب من الشك فكيف هو فيما يتيقنه القلب ، أوليست الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله »

وعلق الأستاذ على ذلك بما يلى : « المودج : مراكب النساء وهدج الظليم : مشى وسعى وعدا ، وكل ذلك إذا كان فى ارتماش ، وظليم هداج ونعام هداج ، وهوادج وتقول : نظرت إلى الهوادج كما فى التاج »

وهذا شرح عجيب غريب لست أدرى كيف ارتضاه الأستاذ فى هذا المقام ، والذى أوقع الأستاذ فى هذا الخطأ الطريف أنه اعتقد أن « المواودج » هنا كلمة صحيحة قالها ابن مسعود ، وهى محرفة وصوابها : « القوادح » كما أن « جواز » محرفة أيضاً وصوابها : « حزاز » جاء فى لسان العرب : « وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه : الاثم حُزّاز القلوب ، وهى الأمور التى تحز فيها ، أى تؤثر كما يؤثر الحز فى الشىء ، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصى لفقد الطمأنينة إليها ، وهى بتشديد الزاى . جمع حازّ ، يقال إذا أصاب مرفق البعير طرف كركرته فقطعه وأدماه : قيل : به حاز . وقال الليث يعنى : ما حز فى القلب وحك . وقال القديّس الكنانى : المرك والحاز واحد ، وهو أن يحز فى الذراع حتى يُخلص إلى اللحم ، ويقطع الجلد بحد الكركرة وقال ابن الأعرابى : إذا أثر فيه قيل : ناكت ، فإذا حز به قيل: حاز ، فإذا لم يدمه فهو الماسح . ورواه شمّر : الاثم حواز القلوب بتشديد الواو ، أى يحوزها ويتملكها ويغلب عليها . وروى : الاثم حزّاز بزايين الأولى مشددة ، وهو فعال من الحزّ »

(يتبع)

السيد احمد صقر

المدرس فى الليسيه بمصر الجديدة



قصة طفل

للكاتب الانجليزي شارلس ديكنز

ترجمة الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

يحكى أنه منذ سنوات كان هناك مسافر ، يقوم برحلة سحرية . فقد وجد عندما بدأ القيام بها ، أنها تبدو طويلة جداً ، وقصيرة جداً عندما وصل إلى منتصفها .

وسار في طريق حالك بعض الوقت دون أن يقابل أحداً . ثم التقى أخيراً بطفل جميل . فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الطفل « إني دائماً في لهو ومرح ، فتقدم وامرح معي ! » .

ولعب مع الطفل طول اليوم ، وكانا سعيدين . كانت السماء زرقاء ، والشمس مشرقة ، والماء متألقاً ، وأوراق الشجر مخضرة ، والأزهار يانعة . واستمعا إلى تغريد الطيور ، وشاهدا مختلف الفراش ، وراقبا هطول المطر ، واشتما الروائح الزكية . وكانا يسران من الاستماع إلى هبوب الرياح ، ويتخيلان ما تهمس به ، عندما تندفع مقبلة من موطنها . ويتساءلان في عجب عن أصل نشأتها ، وهي تصفر وتزمجر ، وتدفع بالسحب أمامها ، وتحني الأشجار في طريقها ، وتندفع خلال المداخن ، وتهز الدار هزاً ، وتثير غضب البحر فيهدر مزمجراً . وما أجمله مشهداً عندما يتساقط الجليد ، فيتمتعان برؤية البرد النازل في سرعة وغزارة ، وكأنه الزغب الساقط من صدور ملايين الطيور البيضاء . ويشاهدان تراكم الثلج الناعم ، ويستمعان إلى الهمسات الصادرة من الدروب والطرقات . وكان لديهما العديد من أجمل الألعاب في العالم ، وأغرب الكتب المصورة .

ولكن في ذات يوم ، وعلى غير انتظار ، تفقد المسافر الطفل فلم يجده . وناداه مرات ومرات دون أن يسمع مجيباً . فتابع سيره في طريقه ، ومشى مدة من الزمن دون أن يقابل أحداً ، حتى التقى أخيراً بصبي حسن الطلعة ، فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الصبي « إني أتعلم ، هلم وتعلم معي » .

وأخذ يتعلم مع الطفل عن جوبيتر ، وجونو ، والإغريق والرومان ، وشتى مختلف العلوم . وكان لديهما بجانب ذلك أبهج أنواع الألعاب الرياضية . فكانا يجدفان في النهر صيفاً ، ويتزلقان على الثلج شتاء ، ويعدوان في نشاط ، أو يمتطيان صهوات الجياد . وهكذا كانا يمارسان شتى أنواع الرياضة ، حتى أصبحا لا يفوقهما أحد فيها . وكانت لهما حفلات للرقص ، ومسارح يتمتعان فيها برؤية قصور من الذهب واللجين . وشاهدا كل عجائب العالم . وكان لديهما من عزيز الأصدقاء ما لا يعد ولا يحصى .

ومع ذلك ، في ذات يوم افتقد المسافر الصبي مثلما افتقد الطفل . وبعد أن ناداه دون جدوى تابع رحلته . وسار فترة من الزمن دون أن يشاهد أحداً ، حتى التقى أخيراً بشاب ، فسأله « ما الذي تفعله هنا ؟ » فأجاب الشاب « إني أعشق دائماً . أقبل واعشق معي » .

وسار المسافر مع الشاب فالتقيا بفتاة من أجمل ما شاهد من الفتيات ، ذات عينين نجلاوين ، وشعر أثيث ، وابتسامة خلابة ، ووجه مشرق . ووقع الرجل في حبها من النظرة الأولى . ومع ذلك كانا يغضبان في بعض الأحيان ، ويتشاجران ، ويتخاصمان ، ويجلسان في الظلام يكتبان الرسائل كل يوم . ويختلسان النظر إلى بعضهما ، ثم يصطلحان في حفلة عيد الميلاد ، ويعتزمان الزواج في أقرب وقت .

ولكن المسافر تفقدها ذات يوم مثلما تفقد الشاب فلم يجدها ، وبعد مناداته عليهما تابع رحلته . ومشى فترة من الزمن دون أن يرى أحداً ، ثم التقى أخيراً بسيد متوسط العمر فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب « إني مشغول دائماً . تعال واشتغل معي » .

وهكذا تعددت مشاغله . وذهب مع السيد إلى الغابة . وأصبحا يرحلان إليها كثيراً . وكانت الغابة بادىء ذي بدء مكشوفة خضراء ، ثم أخذت تتكاثف وتظلم ، وحاول لون أشجارها التي كان قد التقى بها مبكراً إلى لون قاتم . ولم يكن السيد وحيداً ، بل كانت ترافقه سيدة في مثل عمره ، وهي زوجته . وكان لهما أولاد أيضاً . وذهبوا جميعاً يخترقون الغابة ، ويقطعون الأشجار وينشئون دروباً بين

الأفنان ، ويهملون فى حرارة .

وكان أحياناً يقابلهم طريق أخضر مكشوف فى غابات كثيفة . ويستمعون إلى صوت على مقربة منهم يقول « أبتاه ، أبتاه ، أماطفل آخر ! انتظرنى ! » ثم يشاهدون شخصاً صغيراً جداً ينمو ويكبر وهو مقبل يعدو ليلحق بهم ، حتى إذا ما وصل ، التفوا حوله ، وقبلوه ، ورحبوا به ، ثم تابعوا سيرهم جميعاً .

وكانوا أحياناً يلتقون بطرق مختلفة فى وقت واحد فيقفون . ثم يقول أحد الأولاد « أبتاه إنى ذاهب إلى البحر » ويقول الآخر « أبتاه ، إنى راحل إلى الهند » ، والثالث « إنى مسافر لأبحث عن الثروة أينما استطعت » ويقول الرابع « أبتاه ، إنى مرتفع إلى السماء ! » وهكذا يفترقون وقد فاضت دموعهم فى غزارة . ويذهبون ، كل منهم فى طريق من هذه الطرق . ويرتفع الطفل الصاعد إلى السماء ، يرتفع فى الهواء الذهبى ، ثم يختفى .

وكان حينما يحدث مثل هذا الفراق ، ينظر المسافر إلى السيد فيشاهده يتطلع إلى السماء فوق الأشجار ، حيث يأخذ النهار فى المضى ، وتبدأ الشمس فى الغروب . ويلاحظ شعره وقد اشتعل شيباً .

ثم ساروا يقطعون رحلتهم دون أن يستريحوا لحظة . فقد كان من الواجب عليهم أن يكونوا منشغلين . وهكذا أقبلوا على طريق أكثر حلكة من غيره ، واندفعوا فى رحلتهم ، عندما وقفت السيدة وقالت « زوجى ، أنهم ينادوننى » .

فأنصتوا فاستمعوا إلى صوت آت من بعيد يقول « أماه ، أماه ! » كان صوت الطفل الأول الذى قال إنه صاعد إلى السماء . وقال الأب « لا تذهبى الآن ، أرجوك ، إننا على وشك الغروب ، لا تذهبى الآن ، أرجوك » . ولكن الصوت نادى « أماه ، أماه » دون أن يبالى به ولا بما أصبح عليه السيد من بياض الشعر وغزارة الدمع .

وعندئذ قبلت الأم زوجها وهى تبتعد عنه ، وتنسحب فى الطريق المظلم ، وتحرك ذراعيها ولا تزالان ملتفتين حول عنقه . وقالت له « يأمر أعزائى ، لقد نادونى ، وها أنذا ذاهبة » ثم رحلت ، وظل الزوج والمسافر وحيدين .

واستمرا فى سيرهما حتى اقتربا من نهاية الغابة . فاستطاعا أن يشاهدا الشمس تغرب أمامها بأشعتها الحمراء خلال الأشجار .

وبينما كان المسافر يشق طريقه خلال الأفنان ، إذ فقد الرجل . ونادى ، ثم نادى دون مجيب . وأخيراً سار وحيداً حتى أقبل على رجل كهل جالس على شجرة ساقطة ، فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الكهل فى ابتسامة وديعة « إنى أتذكر دائماً . أقبل وتذكر معى ! » .

وهكذا جلس بجوار الكهل وجهاً لوجه يشاهد غروب الشمس الصافية وجعل يتذكر ، فأقبل عليه أصدقاؤه عائدين فى هدوء ، ووقفوا وأحاطوا به . الطفل الجميل ، والصبى الحسن الطلعة ، والشاب العاشق ، والأب والأم والأولاد . كانوا كلهم حوله . ولم يفقد منهم أحداً .

وهكذا أحبهم جميعاً ، كان رحيما رفيقاً بهم ، ومسروراً بوجودهم . وكانوا جميعاً يجلونه ويعشقونه .

وأظن أن هذا المسافر هو أنت يا جداه ؛ لأن هذا هو ما فعلته بنا ، وهذا ما فعلناه بك .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة